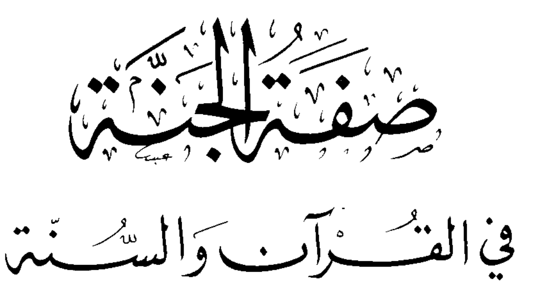


تأليف :
خير الدين وانلي


صفة الجنة
في القرآن والسنة

الطبعة الأولى

دمشق ١٩٩١

مطبعة خالد بن الوليد

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الحمـدَ للهِ نحمدهُ ونستعينُه ونستغفرهُ ونعوذُ باللهِ منْ شرور أَنفسِنا ومنْ سيئاتِ أَعمالنا، منْ يَهدِهِ اللهُ فلا مضلَّ له، ومَنْ يُضللْ فلا هاديَ له، وأَشهدُ أَنْ لا إِلهَ إِلّا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ وأَشهدُ أَنَّ محمداً عبدهُ ورسولهُ.

أمـا بعد فقد سمعت إمام المسجد صباح يوم غرة شعبان ١٣٩٨هـ يقـرأ في الركعة الثانية بسورة الدهر كما هي عادته يوم الجمعـة،ففكـرت فيما ورد فيهـا من صفـة الجنة ومتكئها وظلالها وقطوفها وأكوابها وعيونها وولدانها فخطر في بالي أن أجمع مما ورد في القرآن الكريم وفي السنة الصحيحة من صفات الجنة ليكون المؤمن في شوق إليهـا وتكون حسرة على الكافرين المكذبين بيوم الدين الذين لا يدخلونها ولا يجدون ريحها وإن ريحها ليعرف من مسافات طويلة.

وقد بدأت الكتاب بالتعريف بالجنة ثم حققت في موضوع وجـودهـا الآن ومكـانها. وتحـدثت عن شكلهـا وعلوها وسعتها وسكانها والطريق إليها وثمنها.

ثم ذكرت أسماءها ودرجاتها وأعلى تلك الدرجات وأدناها وأخلاق أهل الجنة فيها والسابقين إليها وكيفية دخولها والذين يدخلونها بغير حساب.

وأوردت ما صح عن ريحها وأبوابها وتحفة أهلها إذا دخلوها وخزنتها وتربتها وكثبانها وغرفها وغراسها وثمرها وأنهارها وخمرها وعيونها وطيرها وطعامها وآنيتها وحليها ولباسها...

وتطرقت إلى فرشها وخدمها ونسائها والإتيان والإنجاب والسماع والمطايا والزيارات والتذاكر فيها. كما وصفت سوقها ونعيمها ورؤية الله فيها ووفيت هذا الموضوع حقه من التوضيح.

وأشرت إلى تكليم الله تعالى أهل الجنة وإلى أبديتها وعدم فنائها وحضضتُ على الإعداد لها والمسارعة إليها.

أسأل الله أن يلهمنا العمل بما يقربنا إليها، وأن يجعلها مثوانا. إنه نعم المجيب.

دمشق

خير الدين وانلي

التعريف بالجنة

الجنـة في اللغـة البستان أو الحديقة ذات الشجر والنخل وجمعها جِنان.

وفي الاصطلاح الشرعي هي دار النعيم في الآخرة وهي من الاجتنان أي الستر لتكاثف أشجارها وتظليلها بالتفاف أغصانها.

وأصل الفعل يدل على الستر فكل ما سُتر عنك فقد جُنَّ عليك. ومنـه جَنّـةُ الليل إذا ستره. وبه سمي الجن لاستتارهم واختفائهم عن الأبصار. ومنه سمي الجنين لاستتاره في بطن أمه. والجَنن القـبر لسـتره الميت. والجَنان القلب لاستتاره في الصدر. وسميت الروح جَناناً لأن الجسم يجنها.

والجُنـة ما واراك من السلاح واستترت به كالدرع وغيره. والبستان جَنة لانه يستر داخله بالأشجار ويغطيه.

وجود الجنة

الجنـة موجـودة ومخلوقة الآن ولكنها مخفية عن الأنظار ولا يمكن رؤيتها إلا في حالة خرق العادة كما حدث لنبينا محمد ﷺ ليلة المعـراج[1] فقـد دخلهـا وشـاهد من نعيمها ما ورد ذكره في الأحاديث الصحيحة . .

وكون الجنة موجودة الآن هو عقيدة الصحابة والتابعين وأهل الحديث والفقه، فكل الرسل دعوا الأمم إليها، وأخبروا بها، ولم يخالف في ذلـك إلا المعتزلة الذين قالوا: خلق الجنة قبل الجزاء عبث، لأنها تظل معطلة. وخالفوا بذلك النصوص الواردة كقوله تعالى في سورة النجم: «ولقدْ رآهُ نَزْلَةً أُخرى عندَ سِدرَةِ المُنْتَهى عندَها جنَّةُ المأْوى». وفي الصحيحين من حديث أَنس أَن النبي ﷺ قال: «ثم دخلتُ الجنة فإذا فيها جنابِذُ (أي قباب) اللؤلؤ وإذا ترابُها المسكُ».

وفي الصحيحـين أيضـاً من حديث عبد الله بن عمر أن

(١) راجع كتابنا معراج المصطفى صلى الله عليه وسلم

رسـول الله ﷺ قال: «إِنَّ أحدَكم إذا ماتَ عُرِض عليه مقعدُه بالغداةِ والعشيِّ، إن كان من أهلِ الجنةِ فمن أَهلِ الجنة، وإنْ كانَ من أهلِ النارِ فمنْ أَهلِ النارِ، فيقال: هذا مقعدُك حتى يبعثَك اللهُ تعالى يومَ القيامةِ».

فكيف يرى مقعده من الجنة إذا لم تكن موجودة الآن بل ورد في حديث البراء في مسند الإمام أحمد وصحيح ابن حبان ومستدرك الحاكم أنه ينادي مناد من السماء أَن صدق عبدي فأَفرشوه من الجنة، وأَلبسوه منَ الجنةِ، وافتحوا له باباً إلى الجنة. قالَ: فيأتيهِ من رَوْحها وطيبِها... الحديث وفيه: فيقول رب أقم الساعة رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي (أي في الجنة).

بل في الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا وُضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم[1] قال: فيأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ قال: فأما المؤمن فيقول أَشهد أَنه عبد الله ورسوله. قال: فيقولان له انظرْ إلى مقعدِك من النار قد أَبدلك اللهُ به مقعداً في الجنة. قال رسول الله ﷺ: فيراهما جميعاً».

وفي الصحيحين واللفظ للبخاري عن عبد الله بن عباس

---

(١) أي بحيث إنه لو كان حياً لسمع قرع نعالهم لشدة قربهم. لأنه قد ثبت بنصوص القرآن والسنة أن الموتى لايسمعون إلا بطريق خرق العادة كما حدث للنبي ﷺ حين خاطب قتلى قليب بدر من المشركين فأسمعهم الله صوته على سبيل المعجزة.

قال: «انخسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فذكر الحديث وفيه فقال: إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله. فقالوا: يا رسول الله رأيناك تناولت شيئاً في مقامك ثم رأيناك تكعكعت (أي تأخرت) فقال: إني رأيت الجنة وتناولت عنقوداً ولو أصبته لاكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار فلم أر منظراً كاليوم قط أفظع».

وفي صحيح البخاري عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ في صلاة الخسوف. قال: «قد دنت مني الجنة حتى لو اجترأت عليها لجئتكم بقطاف[1] من قطافها. ودنت مني النار حتى قلت أي رب وأنا معهم!».

وفى صحيح مسلم من حديث جابر في هذه القصة قال: عرض علي كل شيء تولجونه[2] فعرضت علي الجنة حتى تناولت منها قطفاً فقصرت يدي عنه وعرضت علي النار فرأيت فيها امرأة من بني إسرائيل تعذب في هرة لها».

وفي رواية: «مامن شيء توعدونه إلا قد رأيته في صلاتي هذه. لقد جيء بالنار وذلك حين رأيتموني تأخرت مخافة أن يصيبني من لفحها[3]» الحديث وفيه: «ثم جيء بالجنة وذلك حين

(١) القطف: العنقود ساعة يقطف.
(٢) من الولوج أي الدخول.
(٣) لفحت النار بحرها فلاناً: أحرقته.

رأيتموني تقدمت حتى قمت في مقامي. ولقد مددت يدي وأنا أريد أن أتناول من ثمرها لتنظروا إليه ثم بدا لي أن لا أفعل. فما من شيء توعدونه إلا قد رأيته في صلاتي هذه».

وقد ثبت في السنة أن الروح تدخل الجنة قبل يوم القيامة كما في حديث كعب بن مالك في الموطأ والسنن قال قال رسول الله ﷺ: «إنما نسمة المؤمن طير يعلُقُ[1] في شجر الجنة حتى يرجعها الله إلى جسده يوم القيامة». وفي رواية عند أهل السنن وصححها الترمذي: «إن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تعلق من ثمر الجنة».

وهذا صريح في أن الجنة موجودة الآن.

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «اشتكت النار إلى ربها فقالت: يارب أكل بعضي بعضاً، فأذن لها بنفسين، نَفَسٍ في الشتاء ونفس في الصيف».

وفي صحيح البخاري من حديث أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «بينما أنا أسير في الجنة وإذا بنهر في الجنة حافتاه قِباب الدر المجوف قال: قلت ماهذا ياجبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك فضرب الملك بيده فإذا طينه المسك الأذفر»[2].

---

(١) علق البعير ونحوه النبات ومن النبات: رعاه من أعلاه.

(٢) الشديد الرائحة.

وفي صحيح مسلم من حديث جابـــر بن عبـــد الله قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «دخلت الجنة فرأيت فيها قصراً وداراً فقلت لمن هذا؟ فقيل لرجل من قريش، فرجوت أن أكون أنا هو فقيل لعمر بن الخطاب فلولا غَيرتكَ ياأبا حفص لدخلته قال: فبكى عمر وقال: أو يغار عليك يارسول الله.

ثم في قصة آدم وخروجه من الجنة ـ التي هي جنة الخلد على الراجح ـ مايدل على وجود الجنة وأنها مخلوقة قبل آدم وأنها موجودة بعد إهباطه منها والله أعلم.

مكان الجنة وموقعها

الجنة عند سدرة المنتهى. وسدرة المنتهى فوق السماء وسميت بذلك لأنها ينتهي إليها ماينزل من عند الله فيقبض منها، وما يصعد إليه فيقبض منها. قال تعالى: (وفي السَّماءِ رزقُكُمْ وماتُوعَدونَ)[1] وقد فسرها مجاهد بالجنة وكذلك تلقاه الناس عنه.

وقال عبد الله بن سلام: «إن الجنة في السماء» رواه أبو نعيم وروى عن ابن عباس قال:

«الجنة فوق السماء السابعة ويجعلها الله حيث شاء يوم القيامة».

وروى ابن منده بإسناده عن مجاهد قال: قلت لابن عباس أين الجنة؟ فقال: فوق سبع سموات.

---

(١) الذاريات: ٢٢.

شكلها

قال ابن القيم رحمه الله: «الجنة مقببة، أعلاها وأوسعها وأوسطها هو الفردوس وسقفه العرش كما قال ﷺ في الحديث الصحيح[1]: «إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجّر أنهار الجنة».

قال شيخنا أبو الحجاج المزي: والصواب رواية من رواه (وفوقُه) بضم القاف على أنه اسم لاظرف أي وسقفه عرش الرحمن. فإن قيل: فالجنة جميعها تحت العرش، والعرش سقفها، فإن الكرسي وسع السماوات والأرض والعرش أكبر منه قيل: لما كان العرش أقرب إلى الفردوس مما دونه من الجنات، بحيث لاجنة فوقه دون العرش، كان سقفاً له دون ماتحته من الجنات، ولعظم سعة الجنة وغاية ارتفاعها يكون الصعود من أدناها إلى أعلاها بالتدريج شيئاً فشيئاً درجة فوق درجة كما «يقال لقاريء القرآن اقرأ وارق فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها».

---

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة.

وهـذا يحتمل شيئين أن تكون منزلته عند آخر حفظه وأن تكون عند آخر تلاوته لمحفوظه[1].

---

(١) حادي الأرواح ص ٦٧ . والحديث رواه الإمام أحمد وغيره عن ابن عمرو وصححه شيخنا محمد ناصر الدين الالباني في تخريج المشكاة ٢١٣٤ وتخريج الترغيب وهو عنده في صحيح أبي داود ١٣١٧ .

علوها وارتفاعها

في الصحيحين عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «الجنة مائة درجة مابين كل درجتين كما بين السماء والأرض».

وفي لفظ: «إن في الجنة مائة درجة مابين كل درجتين كما بين السماء والأرض، أعدها الله للمجاهدين في سبيله».

وقد رجّح ابن تيمية رحمه الله هذا اللفظ ولم ينف أن يكون درج الجنة أكثر من ذلك كما قال ابن القيم في حادي الأرواح[1].

قال: ويدل على صحة هذا أن منزلة نبينا ﷺ فوق هذا كله في درجة في الجنة ليس فوقها درجة وتلك المائة ينالها آحاد أمته بالجهاد.

---

(١) ص ٦٧.

جوها واعتدالها

قال الله تعالى:

«مُتكئينَ فيها على الأَرائِكِ لايَرَوْنَ فيها شَمْساً ولا زَمْهَريراً»[1].

وقال سبحانه:

«فَقُلْنا ياآدَمُ إنَّ هذا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِك فَلا يُخْرِجَنّكُما مِنَ الجَنَّةِ فَتَشْقى * إنَّ لَكَ أَلّا تَجوعَ فيها ولا تَعْرى * وأَنَّكَ لاتَظْمأُ فيها ولا تَضْحَى»[2]

ومعنى لاتضحى لاتبرز للشمس فيصيبك حرها لأنه ليس في الجنة شمس كما قال ابن الجوزي في تفسيره[3].

---

(١) الإنسان: ١٣ والمعنى لايرون فيها شمساً فيؤذيهم حرها ولا زمهريراً وهو البرد الشديد.

(٢) طه: ١١٩.

(٣) ج ٥ ص ٣٢٩.

سعتها

قال الله تعالى «وسارِعوا إلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُها السّماواتُ والأَرْضُ أُعِدَّتْ للمتَّقينَ»[1].

وقال سبحانه:

«سابقوا إلى مغفرةٍ منْ ربِّكمْ وجَنَّةٍ عَرْضُها كَعَرْض السَّماءِ والأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذين آمَنوا باللَّهِ وَرَسولِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتيهِ مَنْ يَشاءُ واللَّهُ ذو الفَضْلِ العَظيمِ»[2].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ:

«إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لايقطعها فاقرؤوا إن شئتم: (وظلٍّ مَمْدودٍ).

وروى الترمذي عن أسماء مرفوعاً: وذكر رسول الله ﷺ سدرة المنتهى فقال:

«يسير في ظل الفنن (أي الغصن) منها الراكب مائة سنة أو

---

(١) آل عمران: ١٣٣ (٢) الحديد: ٢١

قال يستظل في الفنن منها مائة راكب الحديث. . . وقال الترمذي حسن غريب وروى أي الترمذي عن ابن عمر مرفوعاً وكذلك الطبراني:

إن أدنى أهل الجنة منزلة الرجل ينظر في ملكه ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه الحديث. وقد رواه أيضاً الحسن بن عرفة وزاد فيه. وروي أيضاً موقوفاً على ابن عمر. رواه الترمذي.

عدد الجنات

عن أنس بن مالك أن أم الربيع بنت البراء وهي أم حارثة بن سراقة أتت رسول الله ﷺ فقالت: «يانبي الله ألا تحدثني عن حارثة؟ وكان قتل يوم بدر أصابه سهمُ غربٍ[1]، فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء. قال: ياأم حارثة إنها جنان في الجنة وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى» رواه البخاري.

وقال تعالى: ولمنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ[2].

ثم قال: (ومِنْ دونِهما جَنتانِ)[3] فهذه أربع[4].

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري مرفوعاً: «جنتان من ذهب آنيتهما وحليتهما ومافيهما. وجنتان من فضة آنيتهما وحليتهما ومافيهما. ومابين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدْن».

---

(١) أي سهم لايدرى راميه (٢) الرحمن: ٤٦ (٣) الرحمن: ٦٢.

(٤) قال ابن القيم: لما كان الخائفون على نوعين مقربين وأصحاب يمين كان للمقربين منهم الجنتان العاليتان، ولأصحاب اليمين الجنتان اللتان دونهما

سكانها

قال تعالى:

«وأمّا مَنْ خافَ مقامَ رَبِّهِ ونهى النَّفْسَ عنِ الهَوى فإنَّ الجنَّةَ هي المأْوَى»[1].

وقال تعالى:

«وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ والرَّسولَ فأُولئكَ مع الذينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ والصِّدّيقينَ والشُّهداءِ والصّالحينَ وحَسُنَ أولئِكَ رَفيقا»[2].

فقد ذكر الله أربعة أصناف من أهل الجنة في هذه الآية نسأل الله أن يجعلنا منهم بمنه وكرمه.

وقال تعالى:

«إنَّما المؤْمنونَ الذينَ إذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قلوبُهُمْ وإذا تُلِيَتْ عليهِمْ آياتُهُ زادتْهُمْ إيماناً وعلى ربِّهِمْ يَتَوكَّلونَ * الذينَ يُقيمونَ الصَّلاةَ ومِمّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقونَ * أولئكَ هُمُ المؤْمنونَ حَقّاً لهمْ دَرَجاتٌ عندَ ربِّهِمْ وَمغْفِرَةٌ ورِزْقٌ كَريمٌ»[3].

---

(١) النازعات: ٣٩ (٢) النساء: ٦٩ (٣) الانفال: ٢ - ٤

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ أمر بلالاً ينادي في الناس: «إنه لايدخل الجنة إلا نفس مسلمة» وفي بعض طرقه: (مؤمنة).

وفي صحيح مسلم من حديث عياض المجاشعي قوله ﷺ: «أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط[1] متصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال.. الحديث».

وفي الصحيحين من حديث حارثة بن وهب قال: سمعت النبي ﷺ يقول:

«ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل[2] جواظ[3] متكبر.

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ:

«أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ فكبرنا ثم قال: «أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ فكبرنا. ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا شطر[4] أهل الجنة وسأخبركم عن ذلك، ما المسلمون في الكفار إلا كشعرة بيضاء في ثور أسود أو كشعرة سوداء في ثور أبيض».

---

(١)أي عادل (٢) العتل: الغليظ (٣) الجواظ: المختال الجافي (٤) الشطر: النصف

وعن بريدة بن الحصيب قال: قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة عشرون ومائة صف هذه الأمة منها ثمانون صفاً».

رواه الإمام أحمد والترمذي وإسناده على شرط الصحيح كما قال ابن القيم. ولا تنافي بينه وبين حديث الشطر لأنه ﷺ رجا أولاً أن يكونوا شطر أهل الجنة فأعطاه الله سبحانه رجاءه وزاد عليه سدساً آخر.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة مرفوعاً: «إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على أضوأ كوكب دري في السماء، لكل امريء منهم زوجتان اثنتان يرى مخ[1] سوقهما من وراء اللحم».

قال ابن القيم رحمه الله: والظاهر أنهن من الحور العين لما رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين على كل واحدة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الثياب».

وفي المتفق عليه من حديث جابر: شهدت مع رسول الله ﷺ العيد، صلى قبل أن يخطب بغير أذان ولا إقامة، ثم خطب بعدما صلى، فوعظ النساء وذكّرهم ثم أتى النساء فوعظهن ومعه بلال، فذكّرهن وأمرهن بالصدقة. قال: فجعلت المرأة تلقي

---

(١) المخ. نقي العظم ويعرف عند العامة بالنخاع.

خاتمها وخِرْصها[1] والشيء كذلك، فأمر النبي ﷺ بلالاً فجمع ما هناك قال: «إن منكن في الجنة ليسير»، فقالت امرأة يا رسول الله لِمَ؟ قال: «إنكن تكثرن اللعن وتكفرن العشير». (أي الزوج).

وروى البخاري في صحيحه من حديث عمران بن حصين قال: بلغني أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: «اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء واطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء».

---

(١) الخِرْص: حلقة الذهب أو الفضة

مستحقو الجنة

قال تعالى: «وسَارِعوا إلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وجَنَّةٍ عَرْضُها السَّماواتَ والأَرْضُ أُعِدَّتْ للمتَّقينَ * الذينَ يُنْفِقونَ في السَّرّاءِ والضرّاءِ والكاظِمينَ الغَيْظَ والعافينَ عنِ الناس واللَّهُ يُحِبُّ المحْسنينَ * والذينَ إذا فَعلوا فاحِشَةً أو ظَلَموا أنْفُسَهُمْ ذكَروا اللَّهَ فاستَغْفروا لِذنوبِهمْ ومَنْ يَغفِرُ الذنوبَ إلا اللهَ ولم يُصِرّوا على ما فَعلوا وهم يَعْلَمونَ * أولئكَ جزاؤُهمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهمْ وجَنّاتٌ تَجْري مِنْ تَحتِها الأَنهارُ خالدينَ فيها ونِعْمَ أَجْرُ العاملينَ»[1].

فقد أخبر الله تعالى أنه أعد الجنة للمتقين دون غيرهم. ثم ذكر أوصافهم السابقة من بذلهم للإحسان في حالة العسر واليسر، وكفّ أذاهم عن الناس وتوبتهم وعدم إصرارهم على ذنوبهم.

وقال تعالى: «والسّابقونَ الأَوَّلونَ مِنَ المهاجرينَ والأَنْصارِ والذينَ اتَّبعوهُمْ بإحسانٍ رَضيَ اللهُ عنهمْ ورَضوا عنْه وأَعدَّ لهم جَنّاتٍ تَجْري مِنّ تحتِها الأَنهارُ خالدينَ فيها أَبَداً ذلكَ الفوزُ العظيمُ»[2].

---

(١) آل عمران: ١٣٣ - ١٣٦ (٢) التوبة: ١٠٠

فأخبر تعالى أنه أعد جنته للمهاجرين والأنصار وأتباعهم بإحسان.

وقال تعالى: «وَبَشِّرِ الذينَ آمنوا وعَمِلوا الصَّالحاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنّاتٍ تَجْري مِنْ تَحتِها الأَنْهارُ كُلَّما رُزِقوا منْها مِنْ ثَمرَةٍ رِزْقاً قالوا هذا الذي رُزِقْنا مِنْ قَبْلُ وأُتوا بِهِ مُتَشابِهاً وَلهمْ فيها أَزواجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فيها خالِدونْ[1]».

وقال سبحانه: «أَلا إِنَّ أَوْلياءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنون * الذينَ آمنوا وكانوا يَتَّقونَ * لَهُمُ البُشْرى في الحياةِ الدنْيا وفي الآخِرَةِ لا تَبْديلَ لِكَلِماتِ اللَّهِ ذَلِكَ هوَ الفَوْزُ العَظيمُ[2]».

وقال تعالى: «إِنَّ الذين قالوا ربُّنا اللهُ ثم اسْتَقاموا تتنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الملائكَةُ أَلا تَخافوا ولا تَحْزَنوا وأَبْشِروا بالجَنَّةِ التي كُنْتُمْ توعَدونَ[3]».

وقال سبحانه: «الذينَ آمَنوا وهاجَروا وجاهَدوا في سَبيلِ اللَّهِ بأَمْوالِهِمْ وأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرجَةً عِنْدَ اللَّهِ وأُولئِكَ هُمُ الفائِزونَ ★ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ برَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوانٍ وَجَنّاتٍ لَهُمْ فيها نَعيمٌ مُقيمٌ ★ خالِدينَ فيها أَبداً إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظْيمٌ[4]».

وقال تعالى: «والذينَ آمَنوا وعَمِلوا الصَّالِحاتِ في رَوْضاتِ الجَنّاتِ لَهُمْ ما يَشاؤونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُو الفَضْلُ الكَبيرُ ★ ذَلِكَ

---

(١) البقرة: ٢٥ (٢) يونس: ٦٢ ـ ٦٤ (٣) فصلت: ٣٠ (٤) التوبة: ٢٠ ـ ٢٢

الذي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبادَهُ الذينَ آمَنوا وعَمِلوا الصّالحات[1]» .

وقال سبحانه : «إِنَّما تُنْذِرُ مَن اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحمنَ بالغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَريم[2]» .

وقال تعالى : «وَبَشِّرِ المُؤمنينَ بأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبيراً[3]» .

وقال سبحانه : «إِنَّ اللهَ اشْتَرى مِنَ المُؤمنينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ بأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقاتِلونَ في سَبيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلونَ وَيُقْتَلونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً في التَّوْراةِ والإِنْجيلِ والقُرآنِ ومَنْ أَوْفى بعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ؟ فاسْتَبْشِروا بِبَيْعِكُمُ الذي بايَعْتُمْ بِهِ وذَلِكَ هوَ الفَوْزُ العَظيمُ[4]» .

وقال تعالى : «وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بشَيءٍ مِنْ الخَوْفِ والجوعِ ونَقْصٍ مِنَ الأَموالِ والأَنفُسِ والثَّمَراتِ وبَشِّرِ الصّابرينَ * الَذينَ إِذا أَصابَتْهِمْ مُصيبَةٌ قالوا إِنا لِلَّهِ وإِنا إِليهِ راجعونَ أُولئكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وأُولئِكَ هُمُ المُهْتَدونَ[5]» .

وقال تعالى : «وأُخْرى تُحِبّونَها نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وفَتْحٌ قَريبٌ وَبَشِّرِ المُؤمِنين[6]» .

وقال سبحانه :

«قَدْ أَفْلَحَ المُؤمِنونَ * الّذينَ هُمْ في صَلاتِهِمْ خاشِعونَ * والَّذينَ هُمْ عَنِ اللَّغوِ مُعْرِضونَ * وَالَّذين هُمْ للزَّكاةِ فاعِلونَ *

---

(١) الشورى : ٢٢ ـ ٢٣ (٢) يس : ١١ (٣) الأحزاب : ٤٧ (٤) التوبة : ١١١
(٥) البقرة : ١٥٦ ـ ١٥٧ (٦) الصف : ١٣

والَّذينَ هُمْ لِفُروَجِهِمْ حافِظونَ * إلا على أَزْواجِهِمْ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلومينَ * فَمَن ابْتَغى وَراءَ ذَلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ العادونَ * والَّذينَ هُمْ لأَماناتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ راعونَ * والَّذينَ هُمْ عَلى صَلَواتِهِمْ يُحافِظونَ * أولئكَ هُمُ الوارِثونَ الذين يَرِثونَ الفِرْدَوْسَ هُمْ فيها خالِدونَ[1] » .

وقال تعالى:

«التّائِبونَ العابِدونَ الحامِدونَ السائِحونَ الراكِعونَ السّاجدونَ الآمِرونَ بالمَعْروفِ والنّاهونَ عَنِ المنْكَرِ والحافِظونَ لِحُدودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ المؤْمِنينَ[2] » .

وقال تعالى:

«تِلْكَ الجَنَّةُ التي نورِثُ مِنْ عِبادِنا مَنْ كانَ تَقِيّاً»[3] ..

وفي المسند وغيره أن النبي ﷺ قال: «قد أنزلت علي عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم تلا: (قد أفلح المؤمنون) حتى ختم العشر آيات» .

وقال تعالى:

«وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ»[4] ..

قال ابن القيم: وهذا في القرآن كثير مداره على ثلاث

---

(١) المؤمنون: ١ - ١١ (٢) التوبة: ١١٢ (٣) مريم: ١٩ (٤) الرحمن: ٤٦

قواعد إيمان وتقوى وعمل خالص لله على موافقة السنة. فأهل هذه الأصول الثلاثة هم أهل البشرى دون من عداهم من سائر الخلق، وعليها دارت بشارات القرآن والسنة جميعها.

قال: وترجع إلى خصلة واحدة هي موافقة الرب تبارك وتعالى في محابّهِ ولا طريق إلى ذلك إلا بتحقيق القدوة ظاهراً وباطناً برسول الله ﷺ. وأما الأعمال التي هي تفاصيل هذا الأصل فهي بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق. وبين هاتين الشعبتين سائر الشعب التي مرجعها تصديق الرسول في كل ماأخبر به وطاعته في جميع ماأمر به إيجاباً واستحباباً. كالإيمان بأسماء الرب وصفاته وأفعاله وآياته من غير تحريف لها ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل كما قال الشافعي رحمه الله: «الحمد لله الذي هو كما وصف به نفسه وفوق مايصفه به خلقه».

ثم ذكر ابن القيم جملة مقالات أهل السنة والحديث التي أجمعوا عليها كما حكاها حرب صاحب الإمام أحمد وأن من خالف شيئاً منها أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مخالف مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن السنة وسبيل الحق وهذا مجملها:

«الإيمان قول وعمل ونية وتمسك بالسنة. والإيمان يزيد وينقص ويستثنى من الإيمان، غير أن لايكون الاستثناء شكاً. فإذا سئل الرجل أمؤمن أنت فإنه يقول: أنا مؤمن إن شاء الله، أو

مؤمن أرجو، ويقول: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله.

ومن زعم أن الإيمان قول بلا عمل فهو مرجيء. ومن زعم أن الإيمان هو القول والأعمال شرائع فهو مرجيء. ومن زعم أن الإيمان يزيد ولا ينقص فقد قال بقول المرجئة. ومن لم ير الاستثناء في الإيمان فهو مرجيء. ومن زعم أن إيمانه كإيمان جبريل والملائكة فهو مرجيء. ومن زعم أن المعرفة في القلب وإن لم يتكلم بها فهو مرجيء.

والقدر خيره وشره وقليله وكثيره وظاهره وباطنه وحلوه ومره ومحبوبه ومكروهه وحسنه وسيئه وأوله وآخره من الله عز وجل قضاء قضاه على عباده، وقدر قدره عليهم لايعدو واحد منهم مشيئة الله ولا يجاوزه قضاؤه بل هم كلهم صائرون إلى ماخلقهم له، واقعون فيما قدر عليهم وهو عدل منه، جل ربنا وعز.

والزنا والسرقة وشرب الخمر وقتل النفس وأكل المال الحرام والشرك والمعاصي كلها بقضاء الله من غير أن يكون لأحد من خلقه على الله حجة، بل لله الحجة البالغة على خلقه، لايُسأل عما يفعل وهم يُسألون.

وعلم الله عز وجل ماض في خلقه بمشيئة منه، فهو سبحانه قد علم من إبليس ومن غيره ممن عصاه من لدن عصى الله تبارك وتعالى إلى قيام الساعة - المعصيةَ وخلقهم لها. وعلم الطاعة من أهل الطاعة وخلقهم لها. فكل يعمل لما خلق له وصائر إلى ماقضى

عليه، ولا يعدو أحد منهم قدر الله ومشيئته، والله الفعال لما يريد.

ومن زعم أن الله سبحانه وتعالى شاء لعباده الذين عصوه وتكبروا الخيرَ والطاعة، وأن العباد شاؤوا لأنفسهم الشر والمعصية فعملوا على مشيئتهم، فقد زعم أن مشيئة العباد أغلب من مشيئة الله تعالى. وأي افتراء على الله أكبر من هذا؟

ومن زعم أن الزنا ليس بقدر، قيل له أرأيت هذه المرأة حملت من الزنا وجاءت بولد، هل شاء الله عز وجل أن يخلق هذا الولد، وهل مضى في سابق علمه؟ فإن قال: لا، فقد زعم أن مع الله خالقاً، وهذا الشرك صراحاً.

ومن زعم أن السرقة وشرب الخمر وأكل المال الحرام ليس بقضاء وقدر فقد زعم أن هذا الإنسان، قادر على أن يأكل رزق غيره، وهذا صراح قول المجوسية، بل أكل رزقه الذي قضى الله أن يأكله من الوجه الذي أكله.

ومن زعم أن قتل النفس ليس بمقدر من الله عز وجل فقد زعم أن المقتول مات بغير أجله. وأي كفر أوضح من هذا؟ بل ذلك بقضاء الله عز وجل، وذلك عدل منه في خلقه، وتدبيره فيهم، وماجرى من سابق علمه فيهم. وهو العدل الحق الذي يفعل مايريد. ومن أقر بالعلم لزمه الإقرار بالقدر والمشيئة.

ولا نشهد على أحد من أهل القبلة أنه في النار لذنب عمله ولا لكبيرة أتاها إلا أن يكون في ذلك حديث.

ولا نشهد لأحد أنه في الجنة بصالح عمله ولا لخير أتاه إلا أن يكون في ذلك حديث.

والخلافة في قريش مابقي من الناس اثنان وليس لأحد من الناس أن ينازعهم فيها.

والجهاد ماض قائم مع الأئمة بروا أو فجروا لايبطله جور جائر ولا عدل عادل.

والجمعة والعيدان والحج مع السلطان وإن لم يكونوا بررة عدولاً أتقياء، ودفع الصدقات والخراج والأعشار والفيء والغنائم إليهم عدلوا فيها أو جاروا.

ولا نخرج على السلطان ونسمع ونطيع ولا ننكث ببيعته.

وإن أمرك السلطان بأمر فيه لله معصية فليس لك أن تطيعه البتة، وليس لك أن تخرج عليه ولا تمنعه حقه.

والإمساك في الفتنة سنة ماضية واجب احترامها، فإن ابتليت فقدم نفسك دون دينك، ولا تعن على الفتنة بيد ولا لسان ولكن اكفف لسانك ويدك وهواك.

والكف عن أهل القبلة فلا تكفر أحداً منهم بذنب، ولا تخرجه عن الإسلام بعمل إلا أن يكون في ذلك حديث.

وما روي فتصدقه وتقبله وتعلم أنه كما روي نحو كفر من يستحل ترك الصلاة وشرب الخمر وما أشبه ذلك، أو يبتدع بدعة ينسب صاحبها إلى الكفر والخروج عن الإسلام.

والأعـور الـدجـال خارج لاشك في ذلك ولا ارتياب وهو أكذب الكاذبين.

وعذاب القبر حق حتى يسأل العبد عن دينه وعن ربه وعن الجنة وعن النار. ومنكر ونكير حق وهما فتانا القبر نسأل الله الثبات.

وحوض محمد ﷺ حق، حوض ترده أمته ولهم آنية يشربون بها منه.

والصراط حق يوضـع على سواء جهنم ويمر الناس عليه والجنة من وراء ذلك.

والميزان حق توزن به الحسنات والسيئات كما شاء الله أن توزن.

والصور حق ينفخ فيه إسرافيل فيموت الخلق ثم ينفخ فيه الأخرى فيقومون لرب العالمين، للحساب وفصل القضاء والثواب والعقاب والجنة والنار.

واللوح المحفوظ يستنسخ منه أعمال العباد لما سبق فيه من التقادير والقضاء.

والقلم حق كتبَ الله به مقادير كل شيء وأحصاه في الذكر.

والشفاعة يوم القيامة حق يشفع قوم في قوم فلايصيرون إلى النار، ويخرج قوم من النار بعدما دخلوها ولبثوا فيها ماشاء الله ثم يخرجهم من النـار، وقـوم يخلدون فيهـا أبداً وهم أهل الشرك والتكذيب

والجحود والكفر بالله عز وجل.

ويذبح الموت يوم القيامة بين الجنة والنار.

وقد خلقت الجنة ومافيها وخلقت النار ومافيها، خلقهما الله عز وجل، وخلق الخلق لهما، ولا يفنيان، ولا يفنى مافيهما أبداً، لأنه خلقهما للبقاء لا للفناء.

وخلق سبع سماوات بعضها فوق بعض، وسبع أرضين بعضها أسفل من بعض، وبين السماء العليا والسماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة عام. والماء فوق السماء العليا السابعة، وعرش الرحمن عز وجل فوق الماء، والله عز وجل على العرش. والكرسي موضع قدميه، وهو يعلم مافي السماوات ومافي الأرض ومابينهما وماتحت الثرى، ومافي قعر البحر، ومنبت كل شعرة وشجرة وكل زرع وعدد الرمل والحصى، وأعمال العباد وآثارهم وكلامهم وأنفاسهم، ويعلم كل شيء ولا يخفى عليه من ذلك شيء.

وهو على العرش فوق السماء السابعة ودونه حجب من نار ونور وظلمة.

وهو معنا بعلمه وهو على العرش وهو بائن من خلقه لا يخلو من علمه مكان.

ولله عز وجل عرش، وللعرش حملة يحملونه، والله عز وجل مستو على عرشه وليس له حد.

والله عز وجل سميع لايشك، بصير لايرتاب، عليم لايجهل، جواد لايبخل، حليم لايعجل، حفيظ لاينسى ولا يسهو، قريب لايغفل، ويتكلم وينظر ويبسط، ويضحك ويفرح، ويحب ويكره، ويبغض ويرضى ويغضب، ويسخط ويرحم، ويعفو ويغفر، ويعطي ويمنع

وينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا كيف شاء، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وقلوب العباد بين إصبعين من أصبع الرحمن يقلبها كيف يشاء ويوعيها ماأراد.

وخلق آدم بيده على صورته والسماوات والأرض يوم القيامة في كفه.

ويضع قدمه في النار فتنزوي ويخرج قوماً من النار بيده.

وينظر إلى وجهه أهل الجنة يرونه فيكرمهم ويتجلى لهم وتعرض عليه العباد يوم القيامة ويتولى حسابهم بنفسه ولا يلي ذلك غيره عز وجل.

والقرآن كلام الله الذي تكلم به ليس بمخلوق فمن زعم أن القرآن مخلوق فهو جهمي كافر. ومن زعم أن القرآن كلام الله ووقف ولم يقل ليس بمخلوق فهو أخبث من القول الأول. ومن زعم أن ألفاظنا وتلاوتنا مخلوقة والقرآن كلام الله فهو جهمي.

وكلّم الله موسى تكليماً منه وإليه، وناوله التوراة من يده إلى

يده، ولم يزل الله عز وجل متكلماً.

والـرؤيا من الله وهي حق إذا رأى صاحبها في منامه ماليس ضغثاً فقصها على عالم.

وذكـر محاسن أصحاب رسول الله ﷺ كلهم والكف عن ذكر مساويهم التي شجرت بينهم، فمن سب أصحاب رسول الله ﷺ أو واحداً منهم أو نقصه أو طعن عليه أو عرّض بعيبهم أو عاب أحـداً منهم، فهو مبتدع رافضي خبيث مخالف، لايقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً. بل حبهم سنة والدعاء لهم قربة، والاقتداء بهم وسيلة، والأخذ بآثارهم فضيلة.

وخير الأمة بعد النبي ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي. وهم خلفاء راشدون مهديون، ثم أصحاب رسول الله ﷺ بعد هؤلاء الأربعـة خير النـاس. لايجـوز لأحـد أن يذكـر شيئاً من مساويهم، ولا أن يطعن على واحد منهم بعيب أو نقص، فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته.

ونعرف للعرب حقها وفضلها وسابقتها ونحبهم.

ومن حرم المكاسب والتجارات وطلب المال من وجهه فقد جهل وأخطأ وخالف. بل المكاسب من وجوهها حلال قد أحلها الله عز وجل ورسوله، فينبغي للرجل أن يسعى على نفسه وعياله من فضل ربه.

والـدين إنما هو كتاب الله عز وجل وآثار وسنن وروايات

صحـاح عن الثقـات بالأخبار الصحيحة القوية المعروفة يصدق بعضهـا بعضـاً، حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم والتابعين وتابعي التابعين ومن بعدهم من الأئمة المعـروفـين المقتـدى بهم المتمسكين بالسنة والمتعلقين بالآثار ولا يعرفون ببدعة ولا يطعن فيهم بكذب ولا يُرمون بخلاف.».

المحرمون من الجنة

قال تعالى:

«لقـدْ كَفَـرَ الذينَ قالوا إنَّ اللَّهَ هوَ المسيحُ بنُ مَرْيَمَ وقال المَسيحُ يابَني إسرائيلَ اعبُدوا اللَّهَ ربِّي وربَّكُمْ إنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ باللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عليهِ الجَنَّةَ ومَأْواهُ النارُ وَما للظَّالمينَ مِنْ أَنْصارٍ»[1].

وقال سبحانه:

«إنَّ الذينَ كَذَّبوا بآياتِنا واسْتَكْبَروا عَنْها لاتُفَتَّحُ لَهُمْ أَبوابُ السَّماءِ ولا يَدْخُلونَ الجَنَّةَ حتى يَلجَ الجَمَلُ في سَمِّ الخِياطِ وكذلكَ نَجْزي الظَّالمينَ»[2].

روى البخـاري في صحيحـه عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال:

من قتل قتيلاً من أهل الذمة لم يَرُح[3] رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً.

---

(١) المائدة: ٧٢ (٢) الأعراف: ٤٠ (٣) لم يجد ريحها

وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ :

«صنفان من أهل النار لم أرهما. قوم معهم سياط كأذناب البقـر يضربـون بها النـاس. ونساء كاسيات عاريات[1] مميلات مائلات[2]، رؤوسهن كأسنمة البخت[3] المائلة لايدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا».

---

(١) أي تكشف بعض بدنها وتستر بعضه أو تلبس ثياباً شفافة

(٢) يمشين مشية البغايا وهي المشية المائلة

(٣) أي يكبرن رؤوسهن حتى تصبح كسنم البعير

طريق الجنة

ليس للجنة إلا طريق واحدة وهي التي ذكرها الله مفردة في كتابه أما طرق الجحيم فكثيرة ولذلك أوردها بصيغة الجمع.

فقد قال ابن مسعود: «خطّ لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً وقال: هذا سبيل الله، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن يساره ثم قال: هذه سبل وعلى كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ «وأَنَّ هذا صِراطي مُسْتَقيماً فاتَّبِعوهُ ولا تَتَّبِعوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سبيلهِ»[1].

وقد روى البخاري في صحيحه عن جابر قال: جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ فقال بعضهم: إنه نائم وقال بعضهم: العين نائمة والقلب يقظان. فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلاً فاضربوا له مثلاً. فقالوا: مثلُه مثل رجل بني داراً وجعل فيها مأدبة وبعث داعياً. فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة، ومن لم

---

(١) رواه الدارمي وابن ماجة

يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة. فقالوا: أوّلوها له يفقهْها. فقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان. الدار الجنة، والداعي محمد. فمن أطاع محمداً فقد أطاع الله، ومن عصى محمداً فقد عصى الله، ومحمد فرْق بين الناس».

ثمن الجنة

قال الله تعالى:

«إِنَّ اللَّهَ اشْتَرى منَ الْمُؤمنينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقاتِلونَ في سَبيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلونَ ويُقْتَلونَ وَعْداً عليهِ حَقاً في التَّوراةِ والإِنجيلِ والقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفى بعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ؟ فاسْتَبْشِروا بِبَيْعِكُمُ الذي بايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ»[1].

قال العلامة ابن القيم في (حادي الأرواح):

جعل الله سبحانه ههنا الجنة ثمناً لنفوس المؤمنين وأموالهم بحيث إذا بذلوها فيه استحقوا الثمن وعقد معهم هذا العقد وأكده بأنواع من التأكيد:

أحدها إخبارهم سبحانه وتعالى بصيغة الخبر المؤكد بأداة إنّ.

الثاني: الإخبار بذلك بصيغة الماضي الذي قد وقع وثبت واستقر.

---

(١) التوبة: ١١١

الثالث: إضافة هذا العقد إلى نفسه سبحانه وأنه هو الذي اشترى هذا المبيع.

الرابع: أنه أخبر بأنه وعد بتسليم هذا الثمن وعداً لايخلفه ولا يتركه.

الخامس: أنه أتى بصيغة على التي للوجوب إعلاماً لعباده بأن ذلك حق عليه أحقه هو على نفسه.

السادس: أنه أكد ذلك بكونه حقاً عليه.

السابع: أنه أخبر عن محل هذا الوعد وأنه في أفضل كتبه المنزلة من السماء وهي التوراة والإنجيل والقرآن.

الثامن: إعلامه لعباده بصيغة استفهام الإنكار أنه لا أحد أوفى بعهده سبحانه منه.

التاسع: أنه سبحانه وتعالى أمرهم أن يستبشروا بهذا العقد ويبشر به بعضهم بعضاً بشارة من قد تم له العقد ولزم، بحيث لايثبت فيه خيار ولا يعرض له مايفسخه.

العاشر: أنه أخبرهم إخباراً مؤكداً بأن ذلك البيع الذي بايعوه به هو الفوز العظيم. والبيع ههنا بمعنى المبيع الذي أخذوه بهذا الثمن وهو الجنة.

وفي جامع الترمذي من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا وان سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة» قال الترمذي: هذا حديث حسن

غريب[1].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن أعرابياً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة. فقال: أن تعبد الله ولا تشركَ به شيئاً، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان قال: والذي نفسي بيده لاأزيد على هذا شيئاً أبداً ولا أنقص منه، فلما ولى قال: من سرّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا.

وفي صحيح مسلم عن جابر قال:

أتى النعمان بن قوقل إلى رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله أرأيت إذا صليت المكتوبة وحرمت الحرام وأحللت الحلال أدخل الجنة؟ فقال النبي ﷺ: نعم.

وفي صحيح مسلم عن عثمان بن عفان قال: قال رسول الله ﷺ:

«من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة».

وفي سنن أبي داود عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة».

وفي الصحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) ورواه الحاكم وصححه شيخنا الألباني في الاحاديث الصحيحة ٩٥٤

«أتاني آت من ربي فأخبرني أو قال فبشرني أنه من مات من أمتك لايشرك بالله شيئاً دخل الجنة[1]. قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال وإن زنى وإن سرق».

وفي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ أعطى أبا هريرة نعليه فقال اذهب بنعلي هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة».

وروى أبو نعيم عن جابر بإسناد على شرط مسلم مرفوعاً: «لايُدخل أحداً منكم الجنة عمله ولا يجيره من النار ولا أنا إلا بتوحيد الله تعالى».

قال العلامة ابن القيم:

الجنة إنما تُدخل برحمة الله تعالى وليس عمل العبد مستقلاً بدخولها وإن كان سبباً. ولهذا أثبت الله تعالى دخولها بالأعمال في قوله: (بماكُنْتُمْ تَعْمَلونَ). ونفى رسول الله ﷺ دخولها بالأعمال بقوله: (لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله). ولا تنافي بين الأمرين لوجهين: أحدهما ماذكره سفيان وغيره قال: كانوا يقولون النجاة من النار بعفو الله ودخول الجنة برحمته، واقتسام المنازل والدرجات بالأعمال ويدل على هذا حديث أبي هريرة أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم رواه الترمذي.

الثاني أن الباء التي نفت الدخول هي باء المعاوضة التي

---

(١) أي دخلها مآلاً لاحالاً. وذلك بعد أن يتطهر من ذنوبه بالنار كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة.

يكون فيها أحد العوضين مقابلاً للآخر، والباء التي أثبتت الدخول هي باء السبية التي تقتضي سببية مادخلت عليه لغيره وإن لم يكن مستقلاً بحصوله.

وقد جمع النبي ﷺ بين الأمرين بقوله:

«سددوا وقاربوا وأبشروا واعلموا أن أحداً منكم لن ينجو بعمله. قالوا: ولا أنت يارسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته»[1].

(١) رواه الشيخان والإمام أحمد في مسنده عن عائشة

وراثة الجنة بالعمل والتقوى

قال الله تعالى:
«وَتِلْكَ الجَنَّةُ التي أُورِثْتُموها بِما كُنْتُمْ تَعْمَلونَ»[1].
أي بسبب ماكنتم تعملون وليست هي باء المعاوضة كما ورد آنفاً.

وقال تعالى:
«قَدْ أَفْلَحَ المُؤمنونَ * الذينَ همْ في صلاتِهِمْ خاشِعونَ * والذينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضونَ * والذينَ همْ للزَّكاةِ فاعِلونَ * والذينَ هُمْ لِفُروجِهِمْ حافِظونَ * إلا على أَزْواجِهِمْ أَو مامَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ فإِنَّهُمْ غيرُ مَلومينَ * فَمَنِ ابْتَغى وراءَ ذلكَ فأولئكَ هُمُ العادونَ * والذين هُمْ لأَماناتِهِمْ وعَهدِهِمْ راعونَ * والذينَ هُمْ على صَلَواتِهِمْ يُحافِظونَ * أُولئك هُمُ الوارِثونَ * الذينَ يَرِثونَ الفِرْدَوْسَ هُمْ فيها خالِدونَ»[2].

---

(١) الزخرف: ٧٣
(٢) المؤمنون: ١ ـ ١١

وقال سبحانه: «تِلْكَ الجَنَّةُ التي نورِثُ مِنْ عبادِنا مَنْ كان تَقِيّاً»[1].

ولما كان دخول الجنة بالإيمان والعمل الصالح وليس بقرب النسب من رسول الله ﷺ ولو كان المنتسب غير مؤمن فقد حرم الله الجنة على أبوي النبي ﷺ. فقد ورد في صحيح مسلم عن أنس أن رجلاً قال يارسول الله أين أبي؟ قال: «في النار» فلما قفّى[2] دعاه فقال: «إن أبي وأباك في النار»[3].

ولم يأذن الله لرسوله أن يدعو لأمه لأنها من أهل النار ولكنه سمح له بزيارة قبرها كما في صحيح مسلم.

وفي صحيح مسلم أيضاً عن أبي هريرة قال لما أنزلت هذه الآية: «وأَنذرْ عشيرتَك الأَقربينَ»[4]. دعا رسول الله ﷺ قريشاً فعم وخص فقال: . . يابني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار. يابني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار. يافاطمة أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لكم من الله شيئاً. . الحديث

---

(١) مريم: ٦٣

(٢) أي ذهب مولياً معطياً قفاه وظهره

(٣) وقد ألفت رسالة في الرد على ملا رمضان البوطي الذي ادعى أن أبوي النبي ﷺ في الجنة وأنهما مؤمنان أو من أهل الفترة. أسأل الله أن ييسر طبعها

(٤) الشعراء: ٢١٤

طلب الجنة

قال الله تعالى حكاية عن أولى الألباب من عباده قولهم:

«رَبَّنا إِنَّنا سَمِعْنا مُنادِياً يُنادي للإِيمانِ أَنْ آمِنوا بِرَبِّكُمْ فآمَنّا رَبَّنا فاغْفِرْ لنا ذُنوبَنا وكَفِّرْ عنّا سَيِّئاتِنا وتَوفَّنا مَعَ الأَبْرارِ * ربَّنا وآتِنا ماوَعَدْتَنا على رُسُلِكَ ولا تُخْزِنا يَوْمَ القِيامَةِ إِنَّكَ لاتُخْلِفُ الميعادَ»[1].

قال ابن القيم:

هذا صريح في الإيمان بالرسول والمرسِل ثم توسلوا إليه بإيمانهم أن يؤتيهم ماوعدهم على ألسنة الرسل.

قال: وقد أشكل على بعض الناس سؤالهم أن ينجز لهم وعده مع أنه فاعل لذلك ولابد، وأجاب بأن هذا تعبد محض كقوله: (ربِّ احكُمْ بالحَقِّ) وقول الملائكة: (فاغْفِرَ للَّذينَ تابوا واتَّبَعوا سَبيلَكَ) وخفي على هؤلاء بأن الوعد معلق بشروط منها الرغبة إليه سبحانه وتعالى وسؤاله أن ينجزه لهم. كما أنه معلق بالإيمان وموافاتهم به وأن لايلحقه مايحبطه، فإذا سألوه سبحانه أن

---

(١) آل عمران: ١٩٣ - ١٩٤

ينجز لهم ماوعدهم، تضمن ذلك توفيقهم وتثبيتهم وإعانتهم على الأسباب التي ينجز لهم بها وعده. فكان هذا الدعاء من أهم الأدعية وأنفعها وهم أحوج إليه من كثير من الأدعية. وأما قوله: (ربِّ احكُمْ) فهذا سؤال له سبحانه وتعالى أن ينصرهم على أعدائهم فيحكم لهم عليهم بالنصر والغلبة. وكذا سؤال الملائكة ربهم أن يغفر للتائبين هو من الأسباب التي يوجب بها لهم المغفرة. فهو سبحانه نصب الأسباب التي يفعل بها مايريده بأوليائه وأعدائه وجعلها أسباباً لإرادته، كما جعلها أسباباً لوقوع مراده فمنه السبب والمسبب.

وإن أشكل عليك ذلك فانظر إلى خلقه الأسباب التي توجب محبته وغضبه. فهو يحب ويرضى ويغضب ويسخط عن الأسباب التي خلقها وشاءها. فالكل منه وبه، مبتدأ من مشيئته وعائد إلى حكمته وحده. وهذا باب عظيم من أبواب التوحيد لايلجه إلا العالمون بالله.

قال: ونظير هذه الآية في سؤاله ماوعد به قوله تعالى: «قُلْ أَذلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الخُلْدِ التي وُعِدَ المتَّقونَ كانَتْ لهمْ جَزاءً وَمَصيراً * لهمْ فيها مايَشاؤونَ خالِدينَ كانَ على ربِّكَ وَعْداً مَسْؤولاً»[1]. يسأله إياه عباده المؤمنون، ويسأله إياه ملائكته لهم. فالجنة تسأل ربها أهلها، وأهلها يسألونه إياها، والملائكة تسألها

(١) الفرقان: ١٥ - ١٦

لهم، والرسل يسألونه إياها لهم ولأتباعهم، ويوم القيامة يقيمهم سبحانه بين يديه يشفعون فيها لعباده المؤمنين. وفي هذا من تمام ملكه وإظهار رحمته وإحسانه وجوده وكرمه وإعطائه ماسئل، ماهو من لوازم أسمائه وصفاته، واقتضائها لآثارها ومتعلقاتها. فلايجوز تعطيلها عن آثارها وأحكامها. فالرب تعالى جواد له الجود كله يحب أن يسأل ويطلب منه ويرغب إليه. فخلق من يسأله وألهمه سؤاله، وخلق له مايسأله إياه، فهو خالق السائل وسؤاله ومسؤوله، وذلك لمحبته سؤال عباده له ورغبتهم اليه وطلبهم منه وهو يغضب إذا لم يُسأل.

الله يغضب إن تركت سؤاله
وبنيّ آدم حين يُسأل يغضب

وأحب خلقه إليه أكثرهم وأفضلهم له سؤالاً، وهو يحب الملحين في الدعاء، وكلما ألح العبد عليه في السؤال أحبه وقربه وأعطاه وفي الحديث: (من لم يسأل الله يغضب عليه)[1] فلا إله إلا هو. أي جناية جنت القواعد الفاسدة على الإيمان، وحالت بين القلوب وبين معرفة ربها وأسمائه وصفات كماله ونعوت جلاله!! والحمد لله الذي هدانا لهذا وماكنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

روى أبو يعلى بإسناد على شرط الصحيحين كما قال ابن

---

(١) ففي هذا الحديث وغيره مايدل على ضلال من قال: سؤالك له إتهام له أو قولهم: علمه بحالي يغنيه عن سؤالي. والحديث رواه الإمام أحمد ٢/ ٤٤٢

القيم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ:

«ماستجار عبد من النار سبع مرات إلا قالت النار إن عبدك فلاناً استجار مني فأجره، ولا يسأل عبد الجنة سبع مرات إلا قالت الجنة يارب إن عبدك فلاناً سألني فأدخله الجنة».

وروى أبو داود في سننه من حديث جابر في قصة صلاة معاذ وتطويله بهم أن النبي ﷺ قال للفتى يعني الذي شكاه: كيف تصنع ياابن أخي اذا صليت؟ قال: أقرأ بفاتحة الكتاب وأسأل الله الجنة، وأعوذ به من النار، وإني لا أدري مادندنتك ودندنة معاذ. فقال النبي ﷺ: إني ومعاذاً حولها ندندن»[1].

وروى الليث بن سعد عن معاوية بن صالح عن عبد الملك بن بشير ورفع الحديث قال:

مامن يوم إلا والجنة والنار يسألان. تقول الجنة يارب قد طاب ثمري واطردت أنهاري واشتقت إلى أوليائي فعجل إلي بأهلي.

وتقول النار: اشتد حري وبعد قعري وعظم جمري فعجل علي بأهلي وقال سبحانه: «والمَلائِكَةُ يَدْخُلونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بابٍ سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ» ففي هذا الحديث طلب الجنة أهلها وكذلك النار كما قال ابن القيم في (حادي الأرواح).

---

(١) وصححه شيخنا الألباني في صحيح الجامع

أسماء الجنة

١ ـ الجنة: وهو الاسم العام المتناول لتلك الدار وماشتملت عليه من أنواع النعيم. وأصل اشتقاق هذه اللفظة من الستر والتغطية كما مر في التعريف أول الكتاب.

٢ ـ دار السلام: أي السلامة من كل بلية وآفة ومكروه وهي دار الله واسمه سبحانه وتعالى السلام وفيها تحية السلام من ربهم ومن الملائكة كما قال تعالى (سَلامٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رحيمٍ)[1].

وقال سبحانه (والملائكة يَدْخُلونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بابٍ سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ)[2].

٣ ـ دار الخلد: لأن أهلها لايُخرجون منها أبداً فإن أكلها دائم وظلها.وعطاؤها غير مجذوذ أي منقطع.

٤ ـ دار المقامة: أي الخلود فلا يموت أهلها ولا يتحولون عنها فهي دار الإقامة الدائمة.

٥ ـ جنة المأوى: أي الاستقرار فهي الجنة التي تأوي إليها أرواح

---

(١) يس: ٥٨ (٢) الرعد: ٢٤

الشهداء. قال تعالى «وَأَمَّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ ونَهى النَّفْسَ عَنِ الهَوى فإِنَّ الجَنَّةَ هي المأْوى»[1].

٦ ـ جنات عدن: أي جنات الإقامة والدوام.

٧ ـ دار الحيوان: أي الحياة التي لاموت فيها فهي دار الحياة الدائمة التي لاتنغيص فيها ولانفاد، ولايشوبها مايشوب الحياة الدنيا.

٨ ـ الفردوس: البستان الملتف الأشجار الذي فيه الأعناب غالباً ويطلق هذا الاسم على أفضل الجنة وأعلاها أو على جميع الجنة.

٩ ـ جنات النعيم: لما يتنعم بها أهلها من مأكول ومشروب وملبوس ومنظر بهيج ومساكن طيبة ورائحة زكية.

١٠ ـ المقام الأمين: الآمن من الخراب والزوال والنقص فأهله لايخرجون منه، ولا ينكد عيشهم، ولا يخافون انقطاع نعيمهم، أو الخروج منها أو الموت.

١١ ـ مقعد الصدق: الكامل الصحيح الصافي

١٢ ـ قدم الصدق: الثابت الذي يرغب فيه

---

(١) النازعات: ٤٠

درجات الجنة

قال الله تعالى: «إِنّما المْؤمنونَ الذينَ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلوبُهُمْ وإِذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زادَتْهُمْ إِيماناً وعَلى رَبِّهِمْ يَتوكَّلونَ * الذينَ يُقيمونَ الصَّلاةَ وَمِمّا رَزَقْناهُمْ يُنْفقونَ * أُولئكَ هُمُ المؤْمنونَ حَقّاً لَهُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَريمٌ»[1].

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر[2] في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل مابينهم. قالوا: يارسول الله تلك منازل الأنبياء لايبلغها غيرهم؟ قال: بلى، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين.

وفي المسند للإمام أحمد وسنن ابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً: يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة اقرأ واصعد فيقرأ ويصعد لكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه[3].

---

(١) الأنفال: ٢ ـ ٤

(٢) اي الذاهب الماضي الذي تدلى للغروب والترائي: التصدي للرؤية وتكلفها

(٣) وقد صححه شيخنا الالباني في صحيح أبي داود

وروى مسلم في صحيحه عن عمرو بن العاص مرفوعاً:
«إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول ثم صلّوا عليّ فإنه من صلّى عليّ صلاةً واحدة صلى الله عليه عشراً، ثم سلوا لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لاتنبغي الا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي».

وفي المسند عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:
«إذا صليتم فسلوا الله لي الوسيلة، قيل يارسول الله وما الوسيلة؟ قال: أعلى درجة في الجنة لاينالها إلا رجل واحد وأرجو أن أكون أنا هو».

وفي الصحيحين من حديث جابر قال: قال رسول الله ﷺ:
«من قال حين يسمع النداء اللهم ربَّ هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة».

قال ابن القيم في حادي الأرواح:
وسميت درجة النبي ﷺ الوسيلة لأنها أقرب الدرجات إلى عرش الرحمن وهي أقرب الدرجات إلى الله وأصل اشتقاق لفظ الوسيلة من القرب وهي فعيلة من وسَل إليه إذا تقرب اليه ومعنى لوسيلة من الوصلة ولهذا كانت أفضل الجنة وأشرفها وأعظمها نوراً.

قال: والقـربى والـزلفى واحد وان كان في الوسيلة معنى التقـرب إليه بأنواع الوسائل. قال تعالى: ﴿أُولئك الذينَ يَدْعونَ يَبْتَغونَ إلى رَبِّهمُ الوسَيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾[1] فقوله: أيهم أقرب هو تفسير للوسيلة التي يبتغيها هؤلاء الذين يدعوهم المشركون من دون الله فيتنافسون في القرب منه. ولما كان رسول الله ﷺ أعظم الخلق عبـودية لربه وأعلمهم به وأشدهم له خشية وأعظمهم له محبة، كانت منزلته أقرب المنازل إلى الله، وهي أعلى درجة في الجنة. وأمر النبي ﷺ أمتـه أن يسألوها له لينالوا بهذا الدعاء زلفى من الله وزيادة الإيمان.

(١) الإسراء: ٥٧

رفع الدرجات في الجنة

قال تعالى:

«واذْكُرْ في الكِتابِ إدريسَ إنَّهُ كانَ صدِّيقاً نَبيّاً * وَرَفعْناهُ مَكاناً عَلِيّاً»[1].

وقال سبحانه:

«ياأَيُّهـا الـذينَ آمَنـوا إِذا قيلَ لَكُمْ تَفَسَّحـوا في المجالِس فافْسَحـوا يَفْسَـحِ اللَّهُ لَكُمْ وإِذا قيلَ انْشُزوا فانْشُزوا يَرْفَعِ اللَّهُ الذينَ آمَنوا منْكُمْ والَّذينَ أُوتوا العِلْمَ دَرَجاتٍ واللَّهُ بِما تَعْمَلونَ خَبيرٌ»[2].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إن الرجل لترفع درجته في الجنة فيقول: أنى هذا فيقال: باستغفار ولدك لك[3].

---

(١) مريم: ٥٦ ـ ٥٧

(٢) المجادلة: ١١

(٣) رواه ابن ماجه قال في الزوائد: إسناده صحيح قلت: وهو في مسند أحمد أيضاً ٢/٥٠٧ ورواه البيهقي وابن ابي شيبة وصححه شيخنا في الاحاديث الصحيحة وفي تخريج المشكاة ٢٣٥٤

إلحاق ذرية المؤمن به في درجات الجنة

قال تعالى: (والذينَ آمَنوا واتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّياتُهمْ بإيمانٍ أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّياتِهِمْ وما أَلَتْناهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شيْءٍ كُلُّ امرِئٍ بما كَسَبَ رَهينٌ)[1].

ذكر ابن مردويه في تفسيره عن ابن عباس: إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده فيقال إنهم لم يبلغوا درجتك أو عملك فيقول: يارب قد عملت لي ولهم، فيؤمر بالإلحاق بهم ثم تلا ابن عباس (والذينَ آمنوا واتَّبَعَتْهُمْ ذُرّياتُهمْ بإيمانٍ) إلى آخر الآية.

وعن ابن عباس مرفوعاً: «إن الله يرفع ذرية المؤمن إلى درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقرَّ بهم عينه».

قال ابن القيم:

اختصاص الذرية ههنا بالصغار أظهر لئلا يلزم استواء المتأخرين والسابقين في الدرجات ولا يلزم مثل هذا في الصغار فإن

---

(١) الطور: ٢١ ومعنى ألتناهم: أنقصناهم. أو أخفينا عنهم

أطفال كل رجل وذريته معه في درجته.

وقال ابن مسعود في تفسير الآية:

الرجل يكون له القوم ويكون له الذرية فيدخل الجنة فيرفعون إليه لتقر بهم عينه وإن لم يبلغوا ذلك.

وقال أبو مجلز:

يجمعهم الله له كما كان يحب أن يجمعوا في الدنيا.

وقال الشعبي:

أدخل الله الذرية بعمل الآباء الجنة.

وعن ابن عباس:

إن كان الآباء أرفع درجة من الأبناء رفع الله الأبناء إلى لآباء، وإن كان الأبناء أرفع درجة من الآباء رفع الله الآباء إلى لأبناء.

وقال إبراهيم:

أعطوا مثل أجور آبائهم ولم ينقص الآباء من أجورهم شيئاً.

أعلى أهل الجنة منزلة

قال تعالى:

«تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجاتٍ وآتَيْنا عيسى بنَ مَرْيَمَ البَيِّناتِ»[1].

قال مجاهد وغيره: منهم من كلم الله: موسى، ورفع بعضهم درجات: محمد ﷺ.

وفي حديث الإسراء المتفق على صحته أنه ﷺ لما جاوز موسى قال: «رب لم أظن أن ترفع علي أحداً». ثم علا فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله حتى جاوز سدرة المنتهى.

وفي صحيح مسلم من حديث عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول:

«إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول. ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشرا. ثم سلوا لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لاتنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة».

---

(١) البقرة: ٢٥٣

أدنى أهل الجنة منزلة

روى مسلم في صحيحه من حديث المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ:

أن موسى سأل ربه: ماأدنى أهل الجنة منزلة؟ فقال: رجل يجيء بعدما دخل أهل الجنة الجنة، يقال له: ادخل الجنة فيقول: رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب. فيقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله فقال في الخامسة رضيت رب. قال: رب فأعلاهم منزلة قال: أولئك الذين أردت، غرستُ كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم ترعين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر».

وروى الترمذي عن ابن عمر مرفوعاً:

«إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جناته وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف عام، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية. ثم قرأ رسول الله ﷺ: (وجوهٌ يَوْمئذٍ ناضِرَةٌ إلى رَبِّها ناظِرَةٌ).

ورواه الطبراني أيضاً مرفوعاً وكذلك أبو نعيم كما ذكر ذلك ابن القيم في حادي الأرواح.

صفة أهل الجنة

روى الإمام أحمد في مسنده والشيخان في صحيحيهما عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ:

«خلق الله عز وجل آدم على صورته طوله ستون ذراعاً، فلما خلقه قال له: اذهب فسلّم على أولئك النفر وهم نفر من الملائكة جلوس فاستمع مايحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك. قال: فذهب فقال: السلام عليكم فقالوا: السلام عليك ورحمة الله فزادو ورحمة الله. قال: فكل من يدخل الجنة على صورة آدم طوله ستون ذراعاً. فلم يزل ينقص الخلق بعده حتى الآن.

وروى أحمد والترمذي عن معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال: «يدخل أهل الجنة الجنة جرداً[1] مرداً مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين».

وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب[2].

وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله قال: سمعت

---

(١) الأجرد: القصير الشعر

(٢) رواه أحمد عن أبي هريرة وصححه شيخنا الالباني في تخريج المشكاة ٥٦٣٩

النبي ﷺ يذكر حديثاً طويلاً وفيه: فتنجوا أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر سبعون ألفاً لايحاسبون ثم الذين يلونهم كأضوأ نجم في السماء ثم كذلك.. الحديث.

ووصف الله تعالى نساء الجنة فقال:

(إنا أَنْشَأْناهُنَّ إِنْشاءً * فَجَعَلْناهُنَّ أَبْكاراً * عُرُباً أَتْرابا)[1].

أي في سن واحدة، ليس فيهن العجائز والشوابّ، بل كلهن شوابّ.

---

(١) الواقعة: ٣٥ ـ ٣٧

أخلاق أهل الجنة فيها

قال تعالى واصفاً أخلاق أهل الجنة:

«وَنَزَعْنا مافي صُدورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْواناً عَلى سُرُرٍ مُتَقابِلينَ»[1].

وقال تعالى عن أهل الجنة:

«يَتَنازَعونَ فيها كَأْساً لالَغْوٌ فيها ولا تَأْثيمٌ»[2].

وقال سبحانه:

«إِنَّ للمتَّقـينَ مَفازاً * حَدائِقَ وأَعْناباً * وكواعِبَ أَتْراباً * وكأْساً دِهاقاً * لايَسْمَعونَ فيها لَغْواً ولا كِذّاباً * جَزاءً مِنْ رَبِّك عَطاءً حِساباً»[3].

وقال عز وجل:

وُجـوهٌ يَوْمَئـذٍ ناعِمَةٌ * لِسَعْيِها راضِيَةٌ * في جَنَّةٍ عالِيَةٍ * لاتَسْمَعُ فيها لاغِيَةً[4].

---

(١) الحجر: ٤٧ (٢) الطور: ٢٣ (٣) النبأ: ٣١ ـ ٣٦ (٤) الغاشية: ٨ ـ ١١

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة:

«أول زمـرة تلج الجنـة صورتهم على صورة القمـر ليلة البدر. . . الحديث. وفيه: لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب رجل واحد، يسبحون الله بكرة وعشِياً»[1].

(١) وسيرد في باب السابقين من هذه الأمة إلى الجنة

السابقون من هذه الأمة إلى الجنة

في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ:

«أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر، لايبصقون فيها ولا يتغوطون فيها ولا يتمخطون فيها، آنيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة، ومجامرهم الألوة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان، يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم على قلب رجل واحد، يسبحون الله بكرة وعشياً.

وفيهما عنه أيضاً مرفوعاً:

«أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة، لايبولون ولايتغوطون ولا يتفلون ولا يتمخطون أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة، وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء».

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة بأربعين خريفاً».

قال ابن القيم في حادي الأرواح:

«لايلزم من سبقهم لهم في الدخول ارتفاع منازلهم عليهم، بل قد يكون المتأخر أعلى منزلة وإن سبقه غيره في الدخول، والدليل على هذا أن من الأمة من يدخل الجنة بغير حساب وهم السبعون ألفاً، وقد يكون بعض من يحاسب أفضل من أكثرهم. والغني إذا حوسب على غناه فوجد قد شكر الله تعالى فيه وتقرب إليه بأنواع البر والخير والصدقة والمعروف، كان أعلى درجة من الفقير الذي سبقه في الدخول، ولم يكن له تلك الأعمال ولاسيما إذا شاركه الغني في أعماله وزاد عليه فيها. والله لايضيع أجر من أحسن عملاً.

فالمزية مزيتان: مزية سبق ومزية رفعة، وقد يجتمعان وينفردان فيحصل لواحد السبق والرفعة، ويعدمهما آخر، ويحصل لآخر السبق دون الرفعة، ولآخر الرفعة دون السبق، وهذا بحسب المقتضي للأمرين أو لأحدهما وعدمه، وبالله التوفيق».

كيفية دخول الجنة

قال تعالى: «وَسِيقَ الذينَ اتَّقَوا رَبَّهُمْ إلى الجَنَّةِ زُمَراً»[1].

قال ابن القيم في حادي الأرواح:

تأمل مافي سوقهم زمراً من فرحتهم بإخوانهم وسيرهم معهم كل زمرة على حدة، مشتركين في عمل متصاحبين فيه على زمرتهم وجماعتهم مستبشرين أقوياء القلوب كما كانوا في الدنيا وقت اجتماعهم على الخير، كذلك يؤنس بعضهم بعضاً ويفرح بعضهم ببعض.

ويقول خزنة أهل الجنة لأهلها: سلام عليكم فبدؤوهم بالسلام المتضمن للسلامة من كل شر ومكروه، أي سلمتم فلا يلحقكم بعد اليوم ماتكرهون، ثم يقولون لهم طبتم فادخلوها خالدين أي سلامتكم ودخولها بطيبكم، فإن الله حرمها إلا على الطيبين فيبشرونهم بالسلامة والطيب والدخول والخلود.

وقال سبحانه «يَوْمَ نَحْشُرُ المتقين إلى الرَّحْمانِ وَفْداً»[2].

---

(1) الزمر: ٧١ (٢) مريم: ٨٥

وقال ابن القيم رحمه الله:

عن النعمان بن سعد قال: أما والله لايحشر الوفد على أرجلهم ولكن يؤتون بنوق لم تر الخلائق مثلها، عليها رحال الذهب وأزمتها الزبرجد فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة.

وعن علي قال: يساق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى اذا انتهوا إلى باب من أبوابها وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها عينان تجريان، فعمدوا إلى إحداهما كأنما أمروا بها فشربوا منها فأذهبت مافي بطونهم من أذى وقذى وبأس، ثم عمدوا إلى الأخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم، فلن تغير أبشارهم أو تغير بعدها أبداً، ولن تشعث أشعارهم كأنما دهنوا بالدهان، ثم انتهوا إلى خزنة الجنة فقالوا: (سلاَمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فادْخُلوها خالدِينَ)

وفي الصحيحين من حديث سهيل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال:

«ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفاً أو سبعمائة ألف متماسكون آخذ بعضهم ببعض، لايدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر».

معرفة أصحاب المنازل في الجنة منازلهم

قال الله تعالى: «والـذينَ قُتِلوا في سَبيلِ اللّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعمالَهُمْ سَيَهْديهِمْ وَيُصْلِحُ بالَهُمْ * ويُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ[1]».

قال مجاهد: يهتدي أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم لايخطئون كأنهم ساكنوها منذ خلقوا، لايستدلون عليها أحداً.

وقال ابن عباس: هم أعرف بمنازلهم من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم.

وقال محمد بن كعب: يعرفونها كما تعرفون بيوتكم في الدنيا إذا انصرفتم من يوم الجمعة.

وفي صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري أن نبي الله ﷺ قال:

«إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار، يتقاصّون مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم بدخول الجنة، والذي نفسي بيده إن أحدهم بمنزله في الجنة أدل منه بمسكنه كان في الدنيا».

---

(١) محمد: ٤ ـ ٦

وفيه من حديث أبي هريرة مرفوعاً:

«والـذي بعثني بالحق ماأنتم في الـدنيا بأعـرف بأحوالكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم إذا دخلوا الجنة».

أول من يقرع باب الجنة وأول الأمم دخولاً

روى مسلم في صحيحه عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«أنا أكثر الناس تبعاً يوم القيامة وأنا أول من يقرع باب الجنة».

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ:

«نحن السابقون الأولون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم» (أي لم يسبقونا إلا بهذا القدر).

وفي صحيح مسلم عنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ:

«نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم، فاختلفوا فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه».

وفي حديث أبي هريرة:

«أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر، وأنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا صاحب لواء الحمد ولا فخر، وأنا أول

من يدخل الجنة ولا فخر آخذ بحلقة باب الجنة فيؤذن لي فيستقبلني وجه الجبار جل جلاله فأخر له ساجداً»[1].

(١) روى مسلم بعضه وروى الدارمي عن ابن عباس قريباً من هذا اللفظ

الذين يدخلون الجنة بغير حساب

في الصحيحين عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«يدخل الجنة من أمتي زمرة هم سبعون ألفاً تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر، فقام عكاشة بن محصن الأسدي يرفع نمرة[1] عليه فقال: يارسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فقال رسول الله ﷺ: اللهم اجعله منهم فقام رجل من الأنصار فقال: يارسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال: سبقك بها عكاشة.

وفي الصحيحين والسياق لمسلم عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال:

«عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد، ورفع إلي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه، لكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم نهض فدخل

---

(١) النمرة: شملة أو بردة من صوف فيها خطوط بيض وسود

منزله، فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب. فقال بعضهم: لعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ. وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً. وذكروا أشياء. فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال: «ماالذي تخوضون فيه»؟ فأخبروه فقال: «هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون» فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم فقال: أنت منهم. ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم فقال: «سبقك بها عكاشة».

قال ابن القيم: وليس عند البخاري لا يرقون. قال شيخنا رحمه الله وهو الصواب وهذه اللفظة وقعت مقحمة في الحديث وهي غلط من بعض الرواة فإن النبي ﷺ جعل الوصف الذي يستحق به هؤلاء دخول الجنة بغير حساب هو تحقيق التوحيد وتجريده، فلا يسألون غيرهم أن يرقيهم ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون. والطيرة نوع من الشرك، ويتوكلون على الله وحده لا على غيره. وتركهم الاسترقاء والتطير هو من تمام التوكل على الله. كما في الحديث: (الطيرة شرك[1]). قال ابن مسعود: «ما منا إلا من تطير ولكن الله يذهبه بالتوكل».

وفي صحيح مسلم عن عمران بن حصين قال: قال رسول

---

(١) رواه أحمد وأصحاب السنن والحاكم عن ابن مسعود وصححه شيخنا الألباني في الاحاديث الصحيحة ٤٣٠

الله ﷺ: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب ولا عذاب.

قيل: ومن هم؟ قال: هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون.

وفي صحيحه أيضاً من حديث جابر بن عبد الله قال: سمعت النبي صلى الله عليهم وسلم يذكر حديثاً طويلاً وفيه فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر، سبعون ألفاً لايحاسبون ثم الذين يلونهم كأضوأ نجم في السماء، ثم كذلك. وذكر تمام الحديث.

وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب أو سبعمائة ألف آخذ بعضهم ببعض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر».

قال ابن القيم: فهذه هي الزمرة الأولى وهم يدخلونها بغير حساب.

وأخرج أبو بكر بن أبي شيبة[1] عن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليم وسلم يقول: «وعدني ربي أن

---

(١) قلت وإسناده جيد وله طرق عند الطبراني وابن ابي عاصم ذكرها ابن القيم في حادي الارواح. كما رواه الإمام أحمد والترمذي وابن حبان وصححه شيخنا الألباني في تخريج السنة لابن أبي عاصم ٧٨٨، ٧٨٩ وفي تخريج المشكاة ٥٥٥٦

يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب مع كل ألف سبعون ألفاً لاحساب عليهم ولاعذاب وثلاث حثيات من حثيات ربي» .

ريح الجنة

روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «من قتل قتيلاً من أهل الذمة لم يَرَح[1] رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً».

وروى الترمذي وصححه عن أبي هريرة مرفوعاً:

«ألا من قتل نفساً معاهداً له ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر بذمة الله فلا يراح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفاً».

قال محمد بن عبد الواحد واسناده على شرط الصحيح كذا في حادي الأرواح.

وفي الصحيحين من حديث أنس قال:

لم يشهد عمي مع رسول الله ﷺ بدراً قال: فشق[2] عليه قال: أول مشهد شهده رسول الله ﷺ غبت عنه، فإن أراني الله مشهداً فيما بعد مع رسول الله ﷺ ليرينَّ الله ما أصنع. قال فهاب

(١) لم يجد

(٢) صعب عليه واهتم لذلك

أن يقـول غيرها. قال فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أُحد، قال فاستقبل سعدَ بنَ معاذ فقال له أين؟ فقال: واهاً لريح الجنة أجده دون أُحد، قال: فقاتلهم حتى قتل. قال فوجد في جسده بضع وثمانون من بين ضربة وطعنة ورمية. فقالت أخته عمة الربيع بنت النضر فما عرفت أخي إلا ببنانه.

ونزلت هذه الآية (مِنَ المُؤمنينَ رِجالٌ صَدَقوا ما عاهَدوا اللهِ عليْهِ[1]).

قال: فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه.

---

(١) الأحزاب: ٢٣

أبواب الجنة

قال الله تعالى: «وسيقَ الذينَ اتَّقَوا رَبَّهُمْ إلى الجَنَّةِ زُمَراً[1]* حتى إذا جاؤوها وَفُتِحَتْ[2] أَبْوابُها وقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُها سَلامٌ عَليكُمْ طِبْتُمْ فادْخلوها خالِدينَ».

وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال:

«في الجنة ثمانية أبواب باب منها يسمى الريان، لا يدخله إلا الصائمون».

---

(١) الزمر: ٧١ ـ ٧٢

(٢) الواو في قوله تعالى (وفتحت) هي واو العطف والجملة معطوفة على جملة جاؤوها والجواب محذوف للعلم به بخلاف الجواب في وصف أهل النار فقد ذكر بقوله تعالى: حتى اذا جاؤوها فتحت. فالملائكة تسوق أهل النار اليها وأبوابها مغلقة حتى اذا وصلوا اليها فتحت في وجوههم وفاجأهم العذاب، وهي دار إهانة فلم يستأذن لهم في دخولها، بعكس الجنة التي هي دار ملك الملوك فلا تدخل الا باستئذان وشفاعة، تعظيماً لأمرها، فهي ليست مفتوحة الأبواب يدخلها من شاء.

فإذا فتحت لهم ودخلوها لم تغلق عليهم أبوابها كما قال تعالى: «جنّاتُ عَدْنٍ مُفتَّحَةً لَهُمُ الأبوابُ مُتكئينَ فيها يَدْعونَ فيها بِفاكِهَةٍ كَثيرةٍ وشَرابٍ) بعكس النار التي إذا دخلها أهلها أغلقت عليهم أبوابها.

فالجنة دار أمن لايحتاج فيها إلى غلق الأبواب فتدخل عليهم الملائكة كل وقت بالتحف والألطاف من ربهم وفي تفتيح أبوابها إشارة الى تصرفهم وذهابهم وإيابهم وتبوئهم في الجنة حيث شاؤوا.

وقد ذكر هذا الفرق بين أبواب الجنة وأبواب النار ابن القيم رحمه الله في كتابه حادي الأرواح.

وفيهما عن أبي هريرة مرفوعاً: «من أنفق زوجين في شيء من الأشياء في سبيل الله دُعي من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان. فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمي يارسول الله ماعلى من دُعي من تلك الأبواب من ضرورة فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ فقال: نعم وأرجو أن تكون منهم».

وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب مرفوعاً: «ما منكم من أحد يتوضأ فيبالغ أو فيسبغ[1] الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء».

وفي الصحيحين في حديث الشفاعة قال ﷺ: فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي فيقيمني رب العالمين مقاماً لم يقمه أحداً قبلي، ولن يقيمه أحداً بعدي، فأقول يارب أمتي. فيقول يا محمد: أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن. وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب. والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر.

---

(١) أي يتمه

وفي لفظ: كما بين مكة وبصرى».

قال ابن القيم رحمه الله:

ولما كانت الجنات بعضها فوق بعض كانت أبوابها كذلك، وباب الجنة العالية فوق باب الجنة التي تحتها، وكلما علت الجنة اتسعت، فعاليها أوسع مما دونه، وسعة الباب بحسب وسع الجنة. ولهذه الأمة باب مختص بهم يدخلون منه دون سائر الأمم، كما في المسند من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «باب أمتي الذي يدخلون منه الجنة عرض مسيرة الراكب ثلاثاً ثم إنهم ليضغطون[1] حتى تكاد مناكبهم تزول»

قال القاضي عياض - كما في شرح النووي على صحيح مسلم:

وقد جاء ذكر بقية أبواب الجنة الثمانية في حديث آخر: باب التوبة وباب الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وباب الراضين فهذه سبعة أبواب جاءت في الاحاديث. وجاء في حديث السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب أنهم يدخلون الباب الأيمن فلعله الباب الثامن[2].

---

(١) من الضغط والمزاحمة

(٢) ارشاد الساري ج ٤ ص ٤١٢ الهامش

آخر أهل الجنة دخولاً إليها

في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها، واخر أهل الجنة دخـولاً الجنة. رجل يخرج من النار حبواً فيقول الله له: اذهب ادخل الجنة، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول: يارب وجدتها ملأى، فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة. قال: فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول: يارب وجدتها ملأى. فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، أو إن لك عشرة أمثال الدنيا. قال: فيقول: أتسخر بي وتضحك بي وأنت الملك؟

قال: لقد رأيت رسول الله ﷺ يضحك حتى بدت نواجذه[1].

قال: فكان يقول: ذلك أدنى أهل الجنة منزلة.»

---

(١) النواجذ: أقصى الأضراس

وفي صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«أني لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً الجنة وآخر أهل النار خروجاً منها. رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها. فيعرض عليه صغار ذنوبه فيقال: عملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا، وعملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا. فيقول: نعم، لا يستطيع أن ينكر، وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه، فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة، فيقول: رب قد عملت أشياء لا أراها ههنا. فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه.»

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى عليه وسلم قال:

«آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشي على الصراط مرة ويكبو مرة وتسفعه[1] النار مرة، فإذا جاوزها التفت إليها فقال: تبارك الذي نجاني منك. لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين. فترتفع له شجرة فيقول: أي رب أدنني من هذه الشجرة أستظل بظلها وأشرب من مائها. فيقول الله تبارك وتعالى: ياابن آدم لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها فيقول: لا

(١) تلفحه

يارب، ويعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه يعذره لأنه يرى مالا صبر له عليه. فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها. ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى فيقول: يارب أدنني من هذه لأشرب من مائها وأستظل بظلها لا أسألك غيرها. فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدني أنك لا تسألني غيرها؟ فيقول: لعلي إن أدنيتك منها أن تسألني غيرها. فيعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره لأنه يرى مالا صبر له عليه. فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها. ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأوليين، فيقول: أي رب أدنني من هذه الشجرة لأستظل بظلها وأشرب من مائها لا أسألك غيرها. فيقول: با ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟ قال بلى يارب. هذه لا أسألك غيرها، وربه يعذره لأنه يرى مالا صبر له عليه. فيدنيه منها فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة فيقول: يارب أدخلنيها. فيقول: ياابن آدم مايرضيك مني؟ أيرضيك أني أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ قال: يارب أتستهزيء مني وأنت رب العالمين؟ فضحك ابن مسعود فقال: ألا تسألوني مم أضحك؟ قالوا مم تضحك؟ قال: ضحك رسول الله ﷺ فقالوا: مم تضحك يارسول الله؟ قال: من ضحك رب العالمين حين قال: أتستهزيء بي وأنت رب العالمين؟ فيقول: لا أستهزيء بك ولكن على ما أشاء قادر.»

وفي صحيح مسلم من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله

عنه عن النبي ﷺ قال:

«سأل موسى ربه: من أدنى أهل الجنة منزلة؟ فقال: هو رجل يجيء بعدما دخل أهل الجنة الجنة فيقال له: ادخل الجنة فيقول: أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب. فيقال: ذلك لك ومثله ومثله ومثله ومثله فيقول في الخامسة: رضيت رب. فيقول: لك هذا وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك. فيقول: رضيت رب. قال: فأعلاهم منزلة؟ قال: ذلك الذي أردت[1]، غرستُ كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر ومصداقه في كتاب الله: «فلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفي لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ[2]. »

---

(١) أي اخترت واصطفيت

(٢) السجدة: ١٧

بقاء فضل في الجنة

في الصحيحين عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «لاتزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي[1] بعضها إلى بعض وتقول قط قط[2] بعزتك وكرمك، ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشيء الله لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة.»

وفي لفظ مسلم: «يبقى من الجنة ما شاء الله أن يبقى ثم ينشيء الله سبحانه لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة».

---

(١) ينقبض

(٢) أي حسبي حسبي

تحفة أهل الجنة إذا دخلوها

روى مسلم في صحيحه من حديث ثوبان قال:

«كنت قائماً عند رسول الله ﷺ فجاءه حبر[1] من أحبار اليهود فقال: السلام عليك يا محمد، فدفعته دفعة كاد يصرع منها، فقال لم تدفعني؟ فقلت: ألا تقول: يارسول الله، فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله. فقال رسول الله ﷺ: «إن اسمي محمداً الذي سماني به أهلي». فقال اليهودي: جئت أسألك فقال له رسول الله ﷺ: «أينفعك بشيء إن حدثتك؟» فقال: أسمع بأذني. فنكت[2] رسول الله ﷺ بعود معه فقال: سل. فقال اليهودي أين تكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض؟ فقال رسول الله ﷺ: في الظلمة دون الجسر.

قال: فمن أول الناس إجازة يوم القيامة؟ قال: فقراء المهاجرين.

---

(١) عالم من علمائهم

(٢) أي ضرب به الأرض فأثر فيها

قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال زيادة كبد النون[1]. قال فما غذاؤهم على أثرها؟ قال: ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها. قال: فما شرابهم؟ قال: من عين فيها تسمى سلسبيلا. قال: صدقت. قال: وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان. قال: أينفعك إن حدثتك؟ قال: أسمعك بأذنيّ. قال: جئت أسألك عن الولد قال: ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فإذا اجتمعا فعلا منيّ الرجل منيَّ المرأة أذكرا بإذن الله تعالى، وإذا علا منيّ المرأة منيّ الرجل آنثا بإذن الله تعالى. قال اليهودي: لقد صدقت وإنك لنبي. ثم انصرف. فقال رسول اله ﷺ: لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه، ومالي علم بشيء منه، حتى أتاني الله عز وجل به.»

وفي صحيح البخاري عن أنس قال:

«سمع عبد الله بن سلام مقدم رسول الله ﷺ المدينة وهو في أرض يخترف[2]، فأتى النبي ﷺ فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي. فما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه وأمه؟ قال أخبرني بهن جبريل آنفا.

---

(١) أي الحوت

(٢) أي يجني الثمر من المخرف وهو حائط النخل

قال جبريل؟ قال: نعم.قال ذاك عدو اليهود من الملائكة. فقرأ هذه الآية: «قُلْ مَنْ كانَ عَدُوّاً لِجبْرِيلَ فإِنَّهُ نَزَّلَهُ على قَلْبِكَ بإِذْنِ اللَّه.) أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب. وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع[1] الولد، واذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت. قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله. يا رسول الله إن اليهود قوم بهت وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتوني[2]. فجاءت اليهود فقال: أي رجل عبد الله فيكم؟ قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا. قال: أفرأيتم إن أسلم عبد الله؟ فقالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. فقالوا: شرنا وابن شرنا وانتقصوه. فقال: هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله.

وفي الصحيحين عن أبي سعيد مرفوعاً:

«تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يكفؤها[3] الجبار بيده كما يكفأ أحدكم خبزته في السفر لأهل الجنة. فأتى رجل من اليهود فقال: بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم ألا أخبرك بنزل[4] أهل

---

(١) أي نزع الى أبيه (٢) من البهتان وهو الافتراء والكذب

(٣) أي يميلها من يد الى يد حتى تجتمع وتستوي واللفظ لمسلم

(٤) مايهيأ للضيف من طعام

الجنة يوم القيامة؟ قال: بلى قال: تكون الأرض خبزة واحدة كما قال النبي ﷺ. فنظر النبي ﷺ إلينا ثم ضحك حتى بدت نواجذه. ثم قال: ألا أخبرك بإدامهم؟ قال: بلى. قال: إدامهم بالأدم والنون. قال: وما هذا؟ قال: ثور ونون يأكل من زيادة كبدهما سبعون ألفاً.

خزنة الجنة

الخازن المؤتمن على الشيء الذي قد استحفظه.

وقد ذكر الله خزنة الجنة فى كتابه الكريم فقال تعالى في سورة الزمر:

«وَسيقَ الذينَ اتَّقَوا رَبَّهُمْ إلى الجَنَّةِ زُمَراً. حتى إذا جاؤوها وفُتِحَتْ أَبْوابُها وقالَ لَهُمْ خَزَنَتُها سَلامٌ عليْكُمْ طِبْتُمْ فادْخُلوها خالِدين[1]».

وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد. فيقول: بكَ أُمرتُ لا أفتح لأحد قبلك»

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعاً:

«من أنفق زوجين في سبيل الله دعاه خزنة الجنة كل خزنة باب أي فهلم. قال أبو بكر: يارسول الله ذاك الذي لا توى عليه (أي لا خسارة ولا هلاك) فقال النبي ﷺ: إني لأرجو أن تكون منهم.»

---

(١) الزمر: ٧١ - ٧٢

وقد سمى الله سبحانه كبير الخزنة رضوان وهذا اسم مشتق من الرضا. جعلنا الله من أهل الرضوان.

تربة الجنة وطينها وحصباؤها وبناؤها

روى الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة قال: قلنا: يا رسول الله إذا رأيناك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة، وإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا وشممنا النساء والأولاد: قال: لو تكونون على كل حال على الحال التي أنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة بأكفهم ولزارتكم في بيوتكم، ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون، كي يغفر الله لهم. قال: قلنا: يارسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال: لبنة ذهب ولبنة فضة، وملاطها[1] المسك وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران. من يدخلها ينعم لا يبأس، ويخلد لا يموت، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه. ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم تحمل على الغمام وتفتح لها أبواب السماوات ويقول الرب: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين[2].

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال: كان أبو ذر يحدث

---

(١) أي طينها (٢) والحديث رواه أيضاً الترمذي وصححه شيخنا في الصحيحة ٩٦٧

أن رسول الله ﷺ قال: «أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ[1] اللؤلؤ. وإذا ترابها المسك. وهو قطعة من حديث المعراج[2].

وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ سأل ابن صياد عن تربة الجنة فقال درمكة[3] بيضاء مسك خالص. فقال رسول الله ﷺ: صدق.

قال ابن القيم: فهذه ثلاث صفات في تربتها لا تعارض بينها فذهبت طائفة من السلف إلى أن تربتها متضمنة للنوعين المسك والزعفران.

قال ويحتمل أن يكون التراب من الزعفران فإذا عجن بالماء صار مسكاً. والطين يسمى تراباً فلما كانت تربتها طيبة وماؤها طيباً فانضم أحدهما إلى الآخر حدث لهما طيب آخر فصار مسكاً. أو أن يكون زعفراناً باعتبار اللون مسكاً باعتبار الرائحة وهذا من أحسن شيء يكون..

قال وكذلك تشبيهها بالدرمك وهو الخبز الصافي الذي يضرب لونه الى الصفرة مع لينها ونعومتها.

---

(١) أي قباب

(٢) انظر كتابنا معراج المصطفى ﷺ

(٣) الدرمك الدقيق الحوّاري

كثبانها

في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك. والجنابذ: القباب.

وفي باب الزيارات في الجنة[1] حديث الإمام الشافعي عن أنس مرفوعاً وفيه: «إن ربك اتخذ من الفردوس وادياً أفيح فيه كثب المسك» الحديث.

وفي حديث سوق الجنة الذي رواه الإمام أحمد عن أنس مرفوعاً ولفظه «فيها كثبان المسك فإذا خرجوا إليها هبت ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم» الحديث.

---

(١) وسيرد في هذا الكتاب

نورها وبياضها

روى أبو نعيم من حديث ابن عباس يرفعه: «إن الله خلق الجنة بيضاء وإن أحب اللون إلى الله البياض فليلبسه أحياؤكم وكفنوا فيه موتاكم».

وعنه أنه قال وقد سئل ما أرض الجنة؟. قال: «مرمرة بيضاء من فضة كأنها مرآة. وسئل عن نورها فقال: ما رأيتَ الساعة التي تكـون فيهـا قبـل طلوع الشمس فذلك نورها إلا أنه ليس فيها شمس ولا زمهرير». وذكر الحديث.

غرف الجنة

قال الله تعالى: «لَكِنِ الَّذينَ اتَّقَوا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوقِها غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْري مِنْ تَحتِها الأَنْهارُ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ الميعادَ»[1].

قال ابن القيم رحمه الله: أخبر أنها غرف فوق غرف، وأنها مبنية بناء حقيقة، لئلا تتوهم النفوس أن ذلك تمثيل، وأنه ليس هناك بناء. بل تتصور النفوس غرفاً مبنية كالعلالي، بعضها فوق بعض حتى كأنه ينظر إليها عياناً. ومبنية صفة للغرف الأولى والثانية، أي لهم منازل مرتفعة وفوقها منازل أرفع منها.

وقال الله تعالى:

«أُولئكَ يُجْزَوْنَ الغُرْفَةَ بِما صَبَروا ويَلَقَّوْنَ فيها تَحِيَّةً وَسَلاماً»[2]

قال ابن القيم رحمه الله: الغرفة جنس كالجنة. وتأمل كيف جعل جزاءهم على هذه الأقوال المتضمنة للخضوع والذل

---

(١) الزمر: ٢٠

(٢) الفرقان: ٧٥

والاستكانة لله، الغرفة والتحية والسلام، في مقابلة صبرهم على سوء خطاب الجاهلين لهم، فبدلوا بذلك سلام الله وملائكته عليهم.

وقال تعالى:

«وما أَمْوالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ بالتي تُقَرِّبُكُمْ عندَنا زُلْفَى إلا مَنْ آمَنَ وعَمِلَ صالحِاً فأُولئكَ لَهُمْ جَزاءُ الضِّعْفِ بما عَمِلوا وهُمْ في الغُرُفاتِ آمِنونَ[1].»

وروى الطبراني من حديث أبي مالك الأشعري أن رسول الله ﷺ قال:

«إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله لمن أطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام».

وقد حسنه محمد بن عبد الواحد كما ذكره ابن القيم في حادي الأرواح.

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد مرفوعاً:

«إن أهل الجنة ليتراءون[2] أهل الغرف كما تراءون الكوكب الغابر من الأفق».

---

(١) سبأ: ٣٧ (٢) ينظرون

مساكن الجنة وبيوتها وقصورها

قال تعالى:

«ياأَيُّها الذينَ آمَنوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى تجارَةٍ تُنْجيكُمْ مِنْ عَذابٍ أَليمٍ * تُؤمنـونَ باللَّهِ وَرَسولِهِ وتُجاهِدونَ في سَبيلِ اللَّهِ بِأَمْوالِكُمْ وأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنّاتٍ تَجْري مِنْ تَحْتِها الأَنْهارُ ومَساكِنَ طَيِّبَةً في جَنّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الفَوْزُ العَظيمُ»[1]

وقال تعالى عن امرأة فرعون أنها قالت:

«ربِّ ابْنِ لي عِنْدَكَ بَيْتاً في الجَنَّة»[2].

وقال تعالى:

«وَعَدَ اللهُ المُؤمنينَ والمُؤمِناتِ جَنّاتٍ تَجْري مِنْ تَحْتِها الأَنهارُ ومَساكِنَ طَيِّبَةً في جنّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوانٌ مِنَ اللَّهِ أكبَرُ ذَلِكَ هو الفَوْزُ العظيمُ[3]».

وفي الحديث الصحيح المتفق عليه:

---

(١) الصف: ١٠ ـ ١٢ (٢) التحريم: ١١ (٣) التوبة ٧٢

«من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة» .

وعند ابن حبان والإمام أحمد عن أبي موسى مرفوعاً :

«إذا قبض الله ولد العبد قال : يا ملك الموت قبضت ولد عبدي ، قبضت قرة عينه وثمرة فؤاده؟ قال : نعم . قال : فما قال؟ قال : حمدك واسترجع . قال : ابنوا له بيتاً في الجنة ، وسموه بيت الحمد . »

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن أبي أوفى وأبي هريرة وعائشة أن جبريل قال للنبي ﷺ :

«هذه خديجة أقرئها السلام من ربها عز وجل وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب»

قال ابن القيم رحمه الله : والقصب هنا قصب اللؤلؤ المجوف .

وفي الصحيحين من حديث أنس أن النبي ﷺ قال :

«أدخلت الجنـــة فإذا أنــا بقصر من ذهب فقلت لمن هذا القصر؟ قالوا : لشاب من قريش ، فظننت أني أنا هو. فقلت : ومن هو؟ قالوا : لعمر بن الخطاب»

وهو فيهما من حديث جابر في رواية «فأتيت على قصر مربع مشرف من ذهب» .

أشجار الجنة وغراسها

قال تعالى: «وَأَصْحابُ اليَمينِ ما أَصْحابُ اليَمينِ في سِدْرٍ مَخْضودٍ وَطَلْحٍ مَنْضودٍ وَظِلٍّ مَمْدودٍ وماءٍ مَسْكوبٍ وَفاكِهَةٍ كَثيرَةٍ لا مَقْطوعةٍ ولا مَمْنوعَةٍ[1]».

والمخضود الذي نزع شوكه. والطلح: شجر الموز أو الشجر العظام من شجر البوادي. والمنضود: الذي نضد بالحمل أو بالورق والحمل من أوله إلى آخره فليس له ساق بارز.

وقال تعالى: (ذَواتا أَفْنانٍ[2]) والفنن الغصن

وقال سبحانه: (فِيهِما فاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمّانٌ[3]).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعاً:

«إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها فاقرؤوا إن شئتم (وظِلٍ مَمْدودٍ).

وفي جامع الترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب»[4].

---

(١) الواقعة: ٢٧ - ٣٣

(٢) الرحمن: ٤٨ (٣) الرحمن: ٦٨ (٤) وقد صححه شيخنا الالباني في تخريج الترغيب

وفيه عن أسماء بنت أبي بكر قالت: سمعت رسول الله ﷺ: وذكر سدرة المنتهى فقال: «يسير في ظل الفنن[1] منها الراكب مائة سنة. أو قال يستظل في الفنن منها مائة راكب فيها فراش الذهب كأن ثمرها القلال[2].» قال الترمذي حديث حسن غريب. والشك من راويه يحيى بن عباد.

(١) الغصن (٢) جمع قُلة وهي الجرة العظيمة

الورق والظلال

قال تعالى .

«ويا آدمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَجُكَ الجَنَّةَ فكُلا منْ حَيْثُ شِئْتُما ولا تَقْـرَبـا هَذِهِ الشَّجَـرَةَ فتَكونا مِنَ الظّالِمينَ* فَوَسْوَسَ لَهُما الشَّيْطانُ لِيُبْدِيَ لَهُما ماووريَ عَنْهُما مِنْ سَوْآتِهِما وَقالَ مانَهاكُما رَبُّكُما عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إلا أَنْ تَكونا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكونا مِنَ الخالِدينَ* وقاسَمَهُما إنّي لَكُـما مِنَ النّاصِحينَ* فَدَلّاهُما بغُرورٍ فَلَمّا ذاقا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُما سَوْآتُهُما وَطَفِقا يَخْصِفانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الجَنَّةِ وَناداهُما رَبُّهُما أَلَمْ أَنْهَكُما عَنْ تِلْكُما الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُما إِنَّ الشَّيْطانَ لَكُما عَدُوٌّ مُبينٌ[1]» .

وقال تعالى :

والذينَ آمَنوا وعَمِلوا الصَّالِحاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنّاتٍ تَجْري مِنْ تَحتِها الأَنْهارُ خالِدينَ فيها أَبَداً لَهُمَ فيها أَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ ونُدْخِلُهُمْ ظِلاً ظَليلاً[2]» .

---

(١) الأعراف : ١٩ ـ ٢٢ (٢) النساء : ٥٧

وقال سبحانه عن الأبرار:

«وَجَزاهُمْ بِما صَبَروا جَنَّةً وَحَريراً* مُتكّئينَ فيها عَلى الأَرائِكِ لايَرَوْنَ فيها شَمْساً ولا زَمْهَريراً* ودَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُها وذُلِّلَتْ قُطوفُها تَذْليلاً [1]» .

وقال تعالى:

«وَأصحابُ اليمينِ ما أَصحابُ اليَمينِ * في سِدْرٍ مَخْضودٍ * وَطَلْحٍ مَنْضودٍ * وظِلٍّ مَمْدودٍ * وماءٍ مَسْكوبٍ [2] . »

وقال جل شأنه:

«ومِنْ دونِهِما جَنّتانِ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ * مَدْهَامّتانِ [3]»

قال ابن عباس وابن الزبير: مدهامتان: خضراوان ومن الري. وقال أبو عبيدة: من خضرتهما قد اسودتا. وقال الزجاج: كل نبت اخضر فتمام خضرته وريه أن يضرب الى السواد. نقل هذه الأقوال ابن الجوزي في تفسيره.

---

(١) الإنسان: ١٢ - ٤ (٢) الواقعة: ٢٧ - ٣١ (٣) الرحمن: ٦٢ - ٦٤

ثمار الجنة وتذليل القطوف

قال تعالى :

(وَبَشِّرِ الذين آمَنوا وَعَمِلوا الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحتِها الأَنْهارُ كُلَّما رُزِقوا مِنْها مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قالوا هَذا الذي رُزِقْنا مِنْ قَبْلُ وَأُتوا بِهِ مُتشابِهاً وَلَهُمْ فيها أَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ)[1] .

وقولهم (هذا الذي رُزِقْنا مِنْ قَبْلُ) أي شبيهه ونظيره لا عينه ، والمراد هذا الذي رزقنا في الدنيا نظيره من الفواكه والثمار، أو هذا نظير الذي رزقناه قبل في الجنة وهو الراجح .

وقوله : (وأُتوا بِهِ مُتَشابِهاً) أي خيار كله لا رذل فيه . والمعنى أنه متماثل متوافق . وقال مجاهد : «متشهابها لونه مختلفاً طعمه» وقال بعضهم : «يشبه ثمر الدنيا غير أن ثمر الجنة أفضل وأطيب» وقد اختاره ابن جرير.

وقال تعالى :

(جَنّاتُ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوابُ مُتَكِّئينَ فيها يَدْعونَ فيها

---

(١) البقرة : ٢٥

بِفاكِهَةٍ كَثيرَةٍ وَشَرابٍ»[1]

وقال سبحانه:

«يَدْعونَ فيها بِكُلِّ فاكِهَةٍ آمِنينَ[2]» أي آمنين من انقطاعها ومضرتها.

وقال تعالى:

«وفاكِهَةٍ كَثيرةٍ لا مَقْطوعَةٍ ولا مَمْنوعَةٍ[3]».

أي لا تكون في وقت دون وقت، ولا تمنع ممن أرادها.

وقال سبحانه:

«فَهُوَ في عِيشَةٍ راضِيَةٍ في جَنَّةٍ عالِيَةٍ قُطوفُها دانيةٌ»[4].

وقال جل وعز:

«وَدانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُها وَذُلِّلَتْ قُطوفُها تَذْليلا»[5].

والقطوف جمع قطف وهو ما يقطف. والقطف بالفتح الفعل. أي ثمارها دانية قريبة ممن يتناولها فيأخذها كيف يشاء.

قال البراء بن عازب: «يتناول الثمرة وهو نائم».

وقال ابن عباس: «إذا همّ أن يتناول من ثمارها تدلت له حتى يتناول ما يريد».

---

(١) ص ٥١

(٢) الدخان: ٥٥

(٣) الواقعة: ٣١ - ٣٢ (٤) الحاقة: ٢١ - ٢٣ (٥) الانسان: ١٤

ومعنى تذليل القطف: تسهيل تناوله.

وقال تعالى:

«فِيهِما مِنْ كُلِّ فاكِهَةٍ زَوْجانِ[1]».

وفي الجنتين الأُخريين:

«فِيهِما فاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمّانٌ[2]».

فخص النخل والرمان من بين الفاكهة بالذكر لفضلها وشرفهما وقال تعالى:

«وَلَهُمْ فيها مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ[3]».

وروى الطبراني عن ثوبان مرفوعاً:

«ان الرجل إذا نزع ثمرة من الجنة عادت مكانها أخرى.»

وفي صحيح مسلم عن جابر عن النبي ﷺ قال:

«عرضت عليّ الجنة حتى لو تناولت منها قطفاً أخذته».

وهذا يدل على وجود الثمار الآن في الجنة ومثله حديث:

«أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تعلُق من ثمار الجنة[4].»

---

(١) الرحمن: ٥٢ (٢) الرحمن: ٦٨ (٣) محمد: ١٥

(٤) رواه الترمذي عن كعب بن مالك وصححه شيخنا الالباني في الاحاديث الصحيحة ٩٩٥ ومعنى تعلق أي تأكل

زرع الجنة

روى البخاري عن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان يحدّث يوماً وعنده رجل من أهل البادية: أن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربه عز وجل في الزرع فقال له: أولست فيما اشتهيت؟ فقال: بلى ولكني أحب أن أزرع، فأسرع وبذر فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده وتكويره أمثال الجبال.

فيقول الله عز وجل: دونك يا ابن آدم فإنه لا يشبعك شيء.

فقال الأعرابي: يا رسول الله لا نجد هذا إلا قرشياً أو أنصارياً، فإنهم أصحاب زرع، فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع. فضحك رسول الله ﷺ.

قال ابن القيم: إن قيل كيف استأذن هذا الرجل ربه في الزرع فأخبره أنه في غنية عنه، قيل: لعله استأذنه في زرع يباشره ويزرعه بيده. وقد كان في غنية عنه وقد كفي مؤونته.

أنهار الجنة وماؤها وكوثرها

تكـرر ذكر الأنهار في القرآن الكريم وأنها تجري من تحت الجنات أو من تحت ساكنيها وهذا يدل على وجود الأنهار فيها حقيقة وعلى جريانها تحت غرفهم وقصورهم وبساتينهم. قال تعالى:

«جناتٍ تَجْري مِنْ تَحتِها الأَنهارُ»[1].

وفي موضع: «تَجْري تَحتَها الأَنهارُ»[2].

وفي موضع آخر: «تَجْري مِنْ تَحتِهِمُ الأَنهارُ»[3].

وقال سبحانه:

«مَثَلُ الجنَّةِ التي وُعِدَ المُتَّقون فيها أَنهارٌ مِنْ ماءٍ غَيْرِ آسِنٍ وأَنْهارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وأَنْهارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ للشّاربينَ وأَنْهارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ولَهُمْ فيها مِنَ كُلِّ الثَّمراتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ»[4].

---

(١) البقرة: ٢٥

(٢) التوبة: ١٠٠

(٣) يونس: ٩

(٤) محمد: ١٥

فهي أنهار قد انتفت عنها الآفات التي تعرض لها في الدنيا.
فآفة الماء أن يأسن من طول المكث، وآفة اللبن تغير طعمه، وآفة الخمر كراهة المذاق وآفة العسل عدم التصفية.

وأنهار الجنة تتفجر من أعلاها ثم تنحدر نازلة.

فقد روى البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

«إن في الجنة مائة درجة أعدها الله عز وجل للمجاهدين في سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوق عرش الرحمن، ومنه تتفجر أنهار الجنة.

وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال:

«رفعت إلى سدرة المنتهى في السماء السابعة، نبقها مثل قلال هجر وورقها مثل آذان الفيلة، يخرج من ساقها نهران ظاهران، ونهران باطنان. فقلت يا جبريل ما هذا؟ قال: أما النهران الباطنان ففي الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات.»

وعنه أيضاً مرفوعاً

«بينا أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك. قال: فضرب الملك بيده فإذا طينه مسك أذفر.»

وفي صحيح مسلم عن أنس أيضاً عن النبي ﷺ قال:

«الكوثر نهر في الجنة وعدنيه ربي عز وجل».

وعند الترمذي وقال حسن صحيح عن ابن عمر مرفوعاً:
«الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب، ومجراه على الدر والياقوت، تربته أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل، وأبيض من الثلج.»

وعنده أيضاً عن حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبي ﷺ قال:
«إن في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الأنهار بعد»

قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:
«سيحان وجيحان والفرات والنيل كلها من أنهار الجنة.»

وصح عن عبد الله بن مسعود قوله: «إن أنهار الجنة تفجر من جبل مسك».

وقال أنس: «أظنكم تظنون أن أنهار الجنة أخدود في الارض؟ والله إنها لسائحة على وجه الأرض إحدى حافتيها اللؤلؤ والأخرى الياقوت وطينها المسك الأذفر الذي لا خلط له.»

(رواه ابن ابي الدنيا).

وروى عن أنس مرفوعاً كما قال ابن القيم في حادي الأرواح:

«أعطيت الكوثر فإذا هو يجري ولم يشق شقاً. وإذا حافتاه قباب اللؤلؤ، فضربت بيدي إلى تربته فإذا مسك أذفر وإذا حصباؤه اللؤلؤ».

وذكر سفيان الثوري عن مسروق في قوله تعالى: (وماءٍ مَسْكوبٍ)

قال: «أنهار تجري من غير أخدود.»

خمر الجنة

قال ابن القيم رحمه الله:

«نفى الله عن خمر الجنة جميع آفات خمر الدنيا من الصداع والغول واللغو والإنزاف وعدم اللذة.

فهذه خمس آفات من آفات خمر الدنيا تغتال العقل، ويكثر اللغو على شربها، بل لا يطيب لشرّابها ذلك إلا باللغو، وتنزف في نفسها، وتنزف المال وتصدع الرأس، وهي كريهة المذاق وهي رجس من عمل الشيطان، توقع العداوة والبغضاء بين الناس، وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وتدعو إلى الزنا، وربما دعت إلى الوقوع على البنت والأخت وذوات المحارم، وتذهب الغيرة وتورث الخزي والندامة والفضيحة، وتلحق شاربها بأنقص نوع الإنسان وهم المجانين، وتسلبه أحسن الأسماء والسمات، وتكسوه أقبح الأسماء والصفات، وتسهل قتل النفس وإفشاء السر الذي في إفشائه مضرته أو هلاكه، ومؤاخاة الشياطين في تبذير المال الذي جعله الله قياماً له ولمن يلزمه مؤنته، وتهتك الأستار وتظهر الأسرار وتدل على العورات وتهون ارتكاب القبائح والمآثم، وتخرج من

القلب تعظيم المحارم، ومدمنها كعابد وثن، وكم أهاجت من حروب، وأفقرت من غني، وأذلت من عزيز، ووضعت من شريف، وسلبت من نعمة، وجلبت من نقمة، وفسخت مودة، ونسجت عداوة، وكم فرقت بين رجل وزوجته فذهبت بقلبه وراحت بلبه، وكم أورثت من حسرة، وأجرت من عبرة، وكم أغلقت في وجه شاربها باباً من الخير، وفتحت له باباً من الشر، وكم أوقعت من بلية، وعجلت من منية، وكم أورثت من خزية، وجرت على شاربها من محنة، وجرأت عليه من سفلة، فهي جماع الإثم ومفتاح الشر، وسلّابة النعم وجالبة النقم، ولو لم يكن من رذائلها إلا أنها لا تجتمع هي وخمر الجنة في جوف عبد كما ثبت عنه ﷺ أنه قال: (من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة[1]) لكفى. وآفات الخمر أضعاف ما ذكرنا وكلها منفية عن خمر الجنة.

(١) رواه ابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة وصححه شيخنا الالباني في الأحاديث الصحيحة ٣٨٤

عيون الجنة

قال تعالى:

«فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضّاخَتانِ[1]»

قال سعيد: «نضاختان بالماء والفواكه.»

وقـال أنس: نضاختان بالمسك والعنبر ينضخان على دور أهل الجنة كما ينضخ المطر على دور أهل الدنيا».

وقال البراء: «اللتان تجريان أفضل من النضاختين.»

وقال تعالى:

وُجوهٌ يَوْمَئِذٍ ناعِمَةٌ * لِسَعْيِها راضِيَةٌ * في جَنّةٍ عالِيَةٍ * لا تَسْمَعُ فيها لاغِيَةً * فيها عَيْنٌ جارِيَةٌ[2]

وقال تعالى:

«إِنَّ المتَّقينَ في جَنّاتٍ وَعُيونٍ[3].»

---

(١) الرحمن: ٦٦

(٢) الغاشية: ٨ ـ ١٢

(٣) الحجر: ٤٥

وقال سبحانه:

«إِنَّ الأَبرارَ يَشْرِبونَ مِنْ كَأْسٍ كانَ مِزاجُها كافورا* عَيناً يَشْرَبُ بها عِبادُ اللَّهِ يُفجِّرونَها تَفْجيراً[1]».

ومعنى يشرب بها: أي يروى بها وهـذا من التضمين فلما ضمنه معناه عداه تعديته بالباء.

وقال جل وعز:

«وَيُسْقَوْنَ فيها كَأْساً كانَ مِزاجُها زَنْجَبيلا * عَيْناً فيها تُسَمَّى سَلْسَبيلاً.[2]»

فأخبر سبحانه عن العين التي يشرب بها المقربون صرفاً، وأن شراب الأبرار يمزج منها، لأن أولئك أخلصوا الأعمال كلها لله، فأخلص شرابهم، وهؤلاء مزجوا فمزج شرابهم.

وقال سبحانه:

«إِنَّ الأَبْرارَ لَفي نَعيمٍ * على الأَرائِكِ يَنْظُرونَ * تَعْرِفُ في وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعيم * يُسْقَوْنَ مِنْ رَحيقٍ مَخْتومٍ * ختامُهُ مِسْكٌ وفي ذَلِكَ فَلْيَتَنافَسِ المتنافِسونَ * ومِزاجُهُ مِنْ تَسْنيمٍ * عَيْناً يَشْرَبُ بها المُقَرَّبونَ[3]».

قال ابن القيم رحمه الله:

---

(١) الانسان: ٦ (٢) الانسان: ١٨

(٣) المطففين: ٢٢ - ٢٨

«أخبر تعالى عن مزاج شرابهم بالكافور ثم الزنجبيل، وفي الأول برد يقابل حرارة الخوف، ثم يجيء الزنجبيل فيعدل بحرارته وطيبه» .

وعن ابن مسعود في قوله تعالى «وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ» قال: تمزج لأصحاب اليمين ويشربها المقربون صرفاً. وكذلك قال ابن عباسٍ: «يشرب منها المقربون صرفاً وتمزج لمن دونهم.»

الحدائق والروضات والروح والريحان

قال تعالى:

«تَرى الظّالِمينَ مُشْفِقينَ مِمّا كَسَبوا وهو واقِعٌ بِهِمْ والّذينَ آمَنوا وعَمِلوا الصَّالِحاتَ في رَوْضاتِ الجَنّاتِ لَهُمْ ما يَشاؤونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الفَضْلُ الكَبيرُ[1].»

وقال سبحانه:

«فَأَمّا الذينَ آمَنوا وعَمِلوا الصَّالِحاتِ فَهُمْ في رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ[2]»

وقال عز وجل:

«إنَّ لِلْمُتَّقينَ مَفازاً * حَدائِقَ وأَعْناباً[3].»

وقال تعالى:

«فَأَمّا إنْ كانَ مِنَ المُقَرَّبينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحانٌ وَجَنَّةُ نَعيمٍ[4].»

---

(١) الشورى: ٢٢ (٢) الروم: ١٥ (٣) النبأ ٣١ ـ ٣٢ (٤) الواقعة: ٨٨ ـ ٨٩

طعام الجنة وشرابها

ليست الجنة دار جوع فقد قال تعالى لآدم:

«وإِنَّ لَكَ أَلاّ تَجوعَ فيها ولا تَعْرى[1]»

وقال تعالى:

«إِنَّ المُتَّقينَ في ظِلالٍ وَعُيونٍ * وَفَواكِهَ مِمّا يَشْتَهونَ * كُلوا واشْرَبوا هَنيئاً بِما كُنْتُمْ تَعملونَ[2]».

وقال سبحانه:

«فَأَمّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بيَمينِهِ فَيَقولُ هاؤُمُ اقْرَؤوا كِتابِيَهْ * إِنّي ظَنَنْتُ أَنّي مُلاقٍ حِسابِيَهْ * فَهوَ في عِيشَةٍ راضِيَةٍ * في جَنَّةٍ عالِيَةٍ * قُطوفُها دانِيَةٌ * كُلوا واشْرَبوا هَنيئاً بِما أَسْلَفْتُمْ في الأَيّامِ الخالِيَةِ»[3].

وقال عز وجل:

«وَتِلْكَ الجَنَّةُ الّتي أُورِثْتُموها بِما كُنْتُمْ تَعْمَلونَ * لَكُمْ فيها فاكِهَةٌ كَثيرَةٌ مِنْها تَأْكُلونَ[4].»

---

(١) طه: ١٨ (٢) المرسلات: ٤١ - ٤٣ (٣) الحاقة: ١٩ - ٢٤ (٤) الزخرف: ٧٢ - ٧٣

وقال تعالى:

«مَثَلُ الجَنَّةِ التي وُعِدَ المُتَّقونَ تَجْري مِنْ تَحتِها الأَنْهارُ أُكُلُها دائِمٌ وظِلُّها[1]».

وقال سبحانه:

«وأَمْدَدْناهُمْ بفاكِهَةٍ ولَحْمٍ مّما يَشْتَهونَ * يَتنازَعونَ فيها كَأْساً لا لَغْوٌ فيها ولا تَأْثيمٌ[2]»

وقال تعالى:

«يُسْقَوْنَ مِنْ رَحيقٍ مَخْتومٍ * خِتامُهُ مِسْكٌ وفي ذَلِكَ فَلْيَتَنافَسِ المتَنافِسونَ[3]»

وفي صحيح مسلم عن جابر مرفوعاً:

يأكل أهل الجنة ويشربون ولا يمتخطون ولا يتغوطون ولا يبولون، طعامهم ذلك جشاء[4] كريح المسك، يلهمون التسبيح والتكبير كما تلهمون النفس.

وفي رواية: قالوا فما بال الطعام؟ قال: جشاء ورشح كرشح المسك. يلهمون التسبيح والحمد.

وفي المسند وسنن النسائي بإسناد صحيح عن زيد بن أرقم قال: جاء رجل من أهل الكتاب الى النبي ﷺ فقال:

«يا أبا القاسم تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون؟ قال:

---

(١) الرعد: ٣٥ (٢) لطور: ٢٢ - ٢٣ (٣) المطففين: ٢٥ - ٢٦ (٤) الجشاء: ريح يخرج من الفم عند الشبع مع صوت

نعم والذي نفس محمد بيده إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة. قال: فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة وليس في الجنة أذى. قال: تكون حاجة أحدهم رشحاً يفيض من جلودهم كرشح المسك فيضمر بطنه.» وروى الحاكم نحوه.

وقال تعالى: «وَلَحْمِ طَيْرٍ مما يَشْتَهون»[1]

وروى الحسن بن عرفة عن ابن مسعود مرفوعاً: «إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويا[2]».

وقال تعالى:

«يَطوفُ عَلَيْهِمْ ولْدانٌ مُخَلَّدونَ بأَكْوابٍ وأَباريقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعينٍ * لا يُصَدَّعونَ عَنْها ولا يُنْزِفونَ[3].»

قال ابن عباس: الخمر لا فيها غول ليس فيها صداع، ولاهم عنها ينزفون، أي لا تذهب عقولهم. (رواه الدارمي)

قال ابن القيم رحمه الله:

تضمنت النصوص أن لهم فيها الخبز واللحم والفاكهة والحلوى وأنواع الأشربة من الماء واللبن والخمر وليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء، وأما المسميات فبينها من التفاوت مالا يعلمه البشر.

---

(١) الواقعة: ٢١ (٢) وإسناده جيد فهو من رواية خلف بن خليفة عن حميد الاعرج عن عبد الله بن الحارث (٣) الواقعة: ١٧ ـ ١٩

طير الجنة وحيوانها

قال تعالى: «وَلَحْمِ طَيْرٍ مما يَشْتَهون[1]».

وروى الترمذي بإسناد صحيح عن كعب بن مالك مرفوعاً:

«أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تعلق من ثمار الجنة[2].»

وفي صحيح مسلم من حديث ثوبان: وقد سئل رسول الله ﷺ عن تحفة أهل الجنة حين يدخلونها فقال: «زيادة كبد النون (أي الحوت). قال: فما غذاؤهم على أثرها؟ قال: ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها... الحديث.»

وفي صحيح البخاري في قصة إسلام عبد الله بن سلام قوله ﷺ: «وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت».

وفي الصحيحين عن حديث أبي سعيد أن يهودياً قال: ألا أخبرك بإدام أهل الجنة. قال بلى. قال: «إدامهم بالأدم والنون. قال: وما هذا؟ قال: ثور ونون يأكل من زيادة كبدهما سبعون ألفاً.»[3]

---

(١) الواقعة: ٢١ (٢) وقد ورد في باب ثمار الجنة ورواه أحمد وابن ماجه وصححه شيخنا الالباني في تخريج المشكاة ١٦٣١ (٣) ورد الحديث بتمامه في باب تحفة أهل الجنة

آنية الجنة

قال تعالى:

«يُطافُ عَلَيْهِمْ بِصحافٍ مِنْ ذَهَبٍ وأَكوابٍ فيها ماتَشْتَهيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وأَنْتُمْ فيها خالِدونَ»[1].

وقال سبحانه:

«يَطوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدونَ * بأَكْوابٍ وَأَباريقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعينٍ.»[2]

والأباريق هي الأكواب التي لها خراطيم، فإن لم يكن لها خراطيم ولا عرى فهو أكواب. وإبريق إفعيل من البريق وهو الصفاء، فهو الذي يبرق لونه من صفائه، ثم سمي كل ماكان له على شكله إبريقاً وإن لم يكن صافيا. وأباريق الجنة من الفضة في **صفاء القوارير يرى من ظاهرها مافي باطنها.**

قال تعالى:

«وَيُطافُ عَلَيهم بآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوابٍ كانَتْ قَواريرَ* قَواريرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّروها تَقْديراً.»[3]

---

(١) الزخرف: ٧١ (٢) الواقعة: ١٧ ـ ١٨ (٣) الانسان: ١٥ ـ ١٦

القـوارير: الـزجـاج. فتلك الآنية من الفضـة ولها صفاء الزجاج وشفافته. وهي مقدرة على قدر ريهم لايزيد عليه ولا ينقص منــه. وهـذا أبلغ في لذة الشـارب، فلو نقص عن ريه لنقص التذاذه، ولو زاد حتى يشمئز منه حصل له ملالة وسآمة من الباقي.

والكأس: هو الإناء بما فيه.

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى رفعه:

«جنتان من ذهب آنيتهما ومافيهما، وجنتان من فضة آنيتهما ومافيهما. ومابين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن».

وفيهما من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة، لايبولون ولا يتغـوطـون ولا يتمخـطون ولا يتفلون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك ومجامرهم الألـوة وأزواجهم الحـور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم عليه السلام ستون ذراعاً في السماء».

والمجامر: البخور الذي يتبخر بإحراقه

والألوة: العود المطرى

وفي الصحيحين عن حديث حذيفة بن اليمان أن النبي ﷺ قال:

«لاتشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافهما فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة».

حلي الجنة

قال تعالى:

«عـالِيَهُمْ ثِيابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وإِسْتَبْرَقٌ وَحُلّوا أَساوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسقاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهورا[1] .»

قال ابن القيم: «جمّل البواطن بالشراب الطهور، والسواعد بالأساور، والأبدان بثياب الحرير.».

وقال سبحانه:

«إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الذينَ آمَنوا وعَمِلوا الصّالِحاتِ جَنّاتٍ تَجْري مِنْ تَحِتِها الأَنْهارُ يُحَلَّوْنَ فيها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ ولُؤْلؤاً وَلِباسُهُمْ فيها حَريرٌ.[2]»

ولؤلؤاً منصوب بفعل محذوف دل عليه الأول: أي ويحلون لؤلؤاً.

وفي الـصحيحـين عن أبي هريرة قال سمعت خليلي ﷺ يقول: «تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء.»

---

(١) الانسان: ٢١ (٢) فاطر: ٣٣

وفيهما عنه مرفوعاً:

«أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر».

وفيه:

«أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة وأزواجهم الحور العين» الحديث[1].

---

(١) وقد ورد آنفاً

لباس الجنة

قال تعالى :

«إِنَّ المُتَّقِينَ في مَقامٍ أَمينٍ* في جَنّاتٍ وعُيونٍ* يَلْبَسونَ مِنْ سُنْدُسٍ وإِسْتَبْرَقٍ مُتَقابِلينَ»[1] .

وقال تعالى :

«يُحَلَّوْنَ فيها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسونَ ثِياباً خُضْراً مِنْ سُنْدُسٍ وإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئينَ فيها على الأَرائِكِ نِعْمَ الثَّوابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً»[2]

والسندس مارق من الديباج،والإستبرق ما غلظ منه .

قال الزجاج : «هما نوعان من الحرير» .

وقال تعالى :

«ولِباسُهُمْ فيها حَريرٌ[3]» .

وقال سبحانه .

«وَجَزاهُمْ بِما صَبَروا جَنَّةً وحَريراً»[4] .

---

(١) الدخان : ٥١ ـ ٥٣ (٢) الكهف : ٣١ (٣) فاطر : ٣٣ (٤) الانسان : ١٢

وقال تعالى:

«عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ»[1]

فقوله عاليهم يفيد أن، ذلك اللباس ظاهر بارز للزينة والجمال. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

«من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه، في الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر».

وقوله: لاتبلى ثيابه الظاهر أن المراد به الثياب المعينة لا يلحقها البلى، ويحتمل أو يراد به الجنس بل لايزال عليه الثياب الجدد. وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال:

أهدى أكيدر[2] دومة إلى النبي ﷺ جبة من سندس فتعجب الناس من حسنها فقال: «لمناديل سعد في الجنة أحسن من هذا.»

وفيهما أيضاً من حديث البراء قال: أهدي لرسول الله ﷺ ثوب حرير فجعلوا يعجبون من لينه فقال رسول الله ﷺ:

«تعجبون من هذا؟ لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا.»

وسعد هو زعيم الأنصار وقد اهتز لموته العرش، وكان لا يأخذه في الله لومة لائم، وقد ختم الله له بالشهادة، ووافق حكمه

---

(١) الانسان: ٢١ (٢) أي أميرها

الذي حكم به في اليهود حكم الله فوق سبع سماواته، وآثر رضا الله ورسوله على رضا قومه وحلفائه، فحق له أن تكون مناديله التي يمسح بها يديه في الجنة أحسن من حلل الملوك كما قال ابن القيم.

وفي حديث الإسراء والمعراج الذي رواه الإمام أحمد ومسلم والنسائي عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ:

«دخلت الجنة فسمعت خشفة بين يدي فقلت: ما هذ الخشفة؟ فقيل القميصاء بنت ملحان أم أنس بن مالك».

وعند الطبراني وابن عدي بإسناد صحيح عن أبي أمامة:

«دخلت الجنة فسمعت خشفة بين يدي، قلت: ما هذه الخشفة؟ فقيل هذا بلال يمشي أمامك.»

وفي حديث جابر عند مسلم أن رسول الله ﷺ قال:

«أريت الجنة فرأيت امرأة أبي طلحة ثم سمعت خشخشة أمامي فإذا بلال.».

والخشخشة هو صوت الشيء اليابس إذا حك بعضه بعضاً وهو هنا كناية عن صوت النعل.

فرش الجنة وزرابيها

قال تعالى:

«مُتَّكِئِينَ عَلى فُرُشٍ بَطائِنُها مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنى الجَنَّتَيْنِ دانٍ[1]»

وهذا يدل على أن ظهائرها أعلى وأحسن من بطائنها، لأن بطائنها للأرض وظهائرها للجمال والزينة والمباشرة. كما يدل على أنها فرش عالية لها سمك وحشو بين البطانة والظهارة.

وقال تعالى

«وفُرُشٍ مَرفوعَةٍ[2]»

وقد ورد عن أبي أمامة قوله: لو أن أعلاها سقط ما بلغ أسفلها أربعين خريفاً.

وقال تعالى:

«مُتَكِّئينَ عَلى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وعَبْقَرِيٍّ حِسانٍ[3]»

---

(١) الرحمن: ٥٤ (٢) الواقعة: ٣٤ (٣) الرحمن: ٧٦

قال سعيد بن جبير: الرفرف: رياض الجنة، والعبقري عتاق الزرابي. وقال الليث: عبقر موضع بالبادية كثير الجن.

وقال الحسن: هي البسط.

وقال الليث: الرفرف: ضرب من الثياب خضر تبسط الواحد رفرفة.

وقال أبو عبيدة: الرفارف: البسط.

وقال ابن الاعرابي: الرفرف ههنا: طرف البساط.

قال الواحدي: العرب إذا بالغت في وصف شيء نسبته إلى الجن أو شبهته بهم، ولما كان عبقر معروفاً بسكناهم نسبوا كل شيء يبالغ فيه إليه.

خيام الجنة وسررها وأرائكها

قال تعالى:

«حورٌ مقَصْوراتٌ في الخِيامِ[1]».

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال:

«إن للمؤمنين في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة، طولها ستون ميلاً فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن، فلا يرى بعضهم بعضاً».

وفي لفظ لهما:

«في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلاً في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن».

وفي لفظ آخر لهما أيضاً:

«الخيمة درة طولها في السماء ستون ميلاً في كل زاوية أهل للمؤمن لا يراهم الآخرون».

---

(١) الرحمن: ٧٢

قال ابن القيم رحمه الله: وهذه الخيم غير الغرف والقصور بل هي خيام في البساتين وعلى شواطىء الأنهار.

وقال تعالى واصفاً السرر:

«مُتْكِئينَ على سُرُرٍ مَصْفوفَةٍ وَزَوَّجْناهُمْ بحورٍ عينٍ[1]».

وقال تعالى:

«ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلينَ وَقَليلٌ مِنَ الآخِرينَ عَلى سُرُرٍ مَوْضونَةٍ * مُتَّكِئينَ عَلَيْها مُتَقابِلينَ[2]».

والموضونة: المتقاربة أو المنسوجة بالذهب والدر

وقال تعالى:

«فيها سُرُرٌ مَرْفوعَةٌ[3]».

أمـا الأرائـك فهي الأسرة في الحجـال. فالأريكـة سرير وحجلة وهي ما تعلق فوقه وتسمى البشخانة.

وقال تعالى:

«إِنَّ الأَبْرارَ لَفي نَعيمٍ * عَلَى الأَرائِكِ يَنْظُرونَ[4].»

---

(١) الطور: ٢٠ (٢) الواقعة: ١٣ - ١٦ (٣) الغاشية: ٣١ (٤) المطففين: ٢٢ - ٢٣

المقيل والارتفاق فيها

قال تعالى :

«إِنَّ الـذينَ آمَنوا وعَمِلوا الصّالِحاتِ إِنّا لا نُضيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً * أُولئكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْري مِنْ تَحتِهِمُ الأَنهارُ يُحَلَّوْنَ فيها مِنْ أَساورَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسونَ ثِياباً خُضْراً مِنْ سُنْدُسٍ وإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئينَ فيها عَلى الأَرائِكِ نِعْمَ الثَّوابُ وحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً[1] . »

وقال تعالى :

«أَصْحابُ الجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَراً وَأَحْسَنُ مَقيلاً[2] . »

---

(١) الكهف : ٣٠ ـ ٣١ (٢) الفرقان : ٢٤

خدم الجنة وغلمانها

قال تعالى:

«يَطوفُ عليهمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدونَ * بأَكْوابٍ وأَباريقَ وكَأْسٍ مِنْ مَعينٍ[1]».

وقال تعالى:

«ويَطوفَ عَلَيْهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدونَ إذا رأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَنْثوراً[2]».

قال ابن عباس: غلمان لا يموتون.

وقال ابن الفراء: مخلدون لا يهرمون ولا يتغيرون.

قال ابن القيم: وشبههم باللؤلؤ المنثور لما فيه من البياض وحسن الخلقة وفي كونه منثوراً فائدتان:

إحداهما الدلالة على أنهم غير معطلين بل مبثوثون في خدمتهم وحوائجهم.

---

(١) الواقعة: ١٧ ـ ١٨ (٢) الإنسان: ١٩

والثـانية أن اللؤلؤ إذا كان منثـوراً ولا سيما على بساط من ذهب أو حرير، كان أحسن لمنـظره، وأبهى من كونه مجموعاً في مكان واحد.

وقـال: وهؤلاء الولدان غلمان أنشأهم الله تعالى في الجنة خدماً لأهلها. أي وليسوا من ولدان الدنيا كما ذهب بعضهم.

وروى ابن أبي الدنيا عن أنس قال[1]:

«إن أدنى أهل الجنة منزلة، وليس فيهم دني، من يغدو عليه كل يوم ويروح خمسة عشر ألف خادم، ليس منهم خادم إلا ومعه طرفة ليست مع صاحبه».

---

(١) وسنذكره في باب ملك الجنة

الأطفال في الجنة

قال الله تعالى: ﴿والذين آمنوُا واتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بإيمانٍ أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وماأَلَتْناهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شيْءٍ كُلُّ امْرِىءٍ بما كَسَبَ رَهينٌ[1]﴾.

وعن حبيبة أنها كانت عند عائشة رضي الله عنها، فجاء النبي ﷺ، حتى دخل عليها، فقال:

«ما من مسلمينْ يموت لهما ثلاثة من الولد، لم يبلغوا الحنث، إلا جيء بهم يوم القيامة حتى يوقفوا على باب الجنة، فيقال لهم: ادخلوا الجنة، فيقولون حتى يدخل آباؤنا، فيقال لهم: ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم[2]»

---

(١) الطور: ٢١

(٢) رواه الطبراني في الكبير بإسناد حسن جيد كما قال المنذري في الترغيب والترهيب في كتاب النكاح

نساء الجنة

قال تعالى:

«وَبَشِّرِ الذينَ آمَنوا وَعَمِلوا الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْري مِنْ تَحْتِها الأَنْهارُ كُلَّما رُزِقوا مِنْها مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قالوا هذا الذي رُزِقْنا مِنْ قَبْلُ وَأُتوا بِهِ مُتَشابِهاً ولهمْ فيها أَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيها خالِدونَ[1]».

والأزواج جمع زوج، والمرأة زوج للرجل وهو زوجها هذا هو الأفصح وهو لغة قريش، وبها نزل القرآن كقوله (اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجنة[2]). ومن العرب من يقول زوجة وهو نادر لا يكادون يقولونه.

قال ابن القيم: والمطهرة: من طهرت من الحيض والبول والنفاس والغائط والمخاط والبصاق وكل قذر، وكل أذى يكون من نساء الدنيا. فطهّر مع ذلك باطنها من الأخلاق السيئة والصفات المذمومة، وطهر لسانها من الفحش والبذاء، وطهر طرفها من أن

---

(١) البقرة: ٢٥ (٢) البقرة: ٣٥

تطمح به إلى غير زوجها، وطهرت أثوابها من أن يعرض لها دنس أو وسخ.

قال ابن مسعود وابن عباس: مطهرة لا يحضن ولا يحدثن ولا يتنخمن. وقال ابن عباس أيضاً: مطهرة من القذر والأذى.

وقال مجاهد: لا يبلن ولا يتغوطن ولا يُمذْين ولا يُمنين ولا يحضن ولا يبصقن ولا يتنخمن ولا يلدن.

وقال قتادة: مطهرة من الإثم والأذى طهرهن الله سبحانه من كل بول وغائط وقذر ومأثم.

وقال تعالى:

«كِذَلِكَ وَزَوَّجْناهُمْ بِحورٍ عينٍ يَدْعونَ فيها بِكُلِّ فاكِهَةٍ آمِنينَ[1]».

والحور جمع حوراء وهي المرأة الشابة الحسناء الجميلة البيضاء شديدة سواد العين.

وقال زيد بن أسلم: الحوراء التي يحار فيها الطرف. وعين: حسان الأعين.

وقال ابن عباس: الحور في كلام العرب البيض.

وقال مجاهد: وزوجناهم بحور عين. أي قرناهم بهن قال والعرب لا تقول تزوجت بها وانما تزوجتها.

---

(١) الدخان: ٥٤ ـ ٥٥

قال ابن القيم: ولفظ الباء تدل على الاقتران والضم وهذا أبلغ من حذفها.

وقال تعالى:

«فِيهِنَّ قاصراتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ ولاجَانٌّ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ* كَأَنَّهُنَّ الياقوتُ والمَرْجانُ[1]».

ومعنى قاصرات الطرف أنهن قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يطمحن إلى غيرهم.

وشبههن بالياقوت صفاء وبالمرجان بياضاً.

وقال تعالى:

«وعِندَهُمْ قاصِراتُ الطَّرْفِ أَتْرابٌ[2].»

والأتراب جع تِرْب وهو لدة الإنسان. أي أقران أسنانهن واحدة.

قال ابن عباس وسائر المفسرين: مستويات على سن واحدة وميلاد واحد بنات ثلاث وثلاثين سنة.

وقال مجاهد: أتراب أمثال

ولم يطمثهن أي لم يطأهن ولم يجامعهن.

وقال تعالى:

«حورٌ مقْصوراتٌ في الخِيامِ[3].»

---

(١) الرحمن: ٥٦ ـ ٥٨ (٢) ص: ٥٢ (٣) الرحمن: ٧٢

آي محبوسات مخدرات وهن في الخيام ولا يلزم من ذلك أنهن لا يفارقنها إلى الغرف والبساتين.

وفي تفسير آخر محبوسات على أزواجهن لا يرون غيرهم وهم في الخيام.

وقال مجاهد: مقصورات قلوبهن على أزواجهن في خيام اللؤلؤ.

وقال تعالى:

«فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسانٌ[1]».

فالخيرات جمع خيْرة وهي مخففة من خيّرة

وحسان جمع حسنة. فهن خيرات الصفات والأخلاق حسان الوجوه.

وقال تعالى:

«إِنّا أَنْشَأْناهُنَّ إِنْشاءً فَجَعَلْناهُنَّ أَبْكاراً عُرُباً أَتْراباً لأَصْحابِ اليَمينِ[2].»

قال قتادة وسعيد بن جبير: إنا خلقناهن خلقاً جديداً.

وقال ابن عباس: يريد نساء الآدميات.

وقال الكلبي يعني نساء أهل الدنيا العجز الشمط يقول تعالى:

---

(١) الرحمن: ٧٠ (٢) الواقعة: ٣٥ - ٣٨

خلقناهن بعد الكبر والهرم بعد الخلق الأول في الدنيا.
ويؤيده حديث عائشة «لايدخل الجنة عجوز».
واختار الزجاج أنهن الحور العين أنشأهن الله تعالى في الجنة إنشاء أول.
والعُرب جمع عروب وهن المتحببات إلى أزواجهن الغنجات. وقال ابن الأعرابي: العروب من النساء المطيعة لزوجها المتحببة إليه. وقال المبرد: هي العاشقة لزوجها.
وقال تعالى:
«إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفازاً* حدائِقَ وأَعْناباً* وكَواعِبَ أَتْراباً»[1].
فالكاعب هي الناهد المتكعبة الثدي.
روى الامام أحمد في مسنده عن أبي هريرة مرفوعاً:
«للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين على كل واحدة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الثياب».
وروى الطبراني في معجمه عن عبد الله عن النبي ﷺ قال:

«أول زمرة يدحلون الجنة كأن وجوههم ضوء القمر ليلة البدر، والزمرة الثانية على لون أحسن كوكب دري في السماء، لكل واحد منهم زوجتان من الحور العين، على كل زوجة سبعون حلة،

---

(١) النبأ: ٣١ - ٣٣

يرى مخ سوقها من وراء لحومها وحللها، كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء».

قال ابن القيم وإسناده على شرط الصحيح.

وروى البخاري في صحيحه عن أنس مرفوعاً:

«لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم أو موضع قيده (يعني سوطه) من الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحاً، ولأضاءت ما بينهما، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها.»

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ:

«إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على أضوأ كوكب دري في السماء، ولكل امرىء منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم وما في الجنة أعزب

وعن ابن عباس قال:

«خلق الحور العين من الزعفران»

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال:

«إن لولي الله في الجنة عروساً لم يلدها آدم ولا حواء، ولكن خلقت من زعفران»

وروى الطبراني عن أبي الدرداء والخطيب عن عائشة وكذا ابن خزيمة وابن حبان أن رسول الله ﷺ قال:

المرأة لآخر أزواجها[1]»

أي هي في الجنة لآخر زوج تزوجته في الدنيا.

(١) وقد صححه شيخنا الالباني في الاحاديث الصحيحة ١٢٨١ وفي تخريج الترغيب ١/ ١٣٦ كما في صحيح الجامع الصغير ٦٥٦٧

الإتيان والإنجاب

روى الترمذي عن أنس وصححه مرفوعاً:

«يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع. قيل يارسول الله:

أو يطيق ذلك؟ قال يعطى قوة مائة ».

وروى الطبراني عن أبي هريرة بإسناد على شرط الصحيح كما قال ابن القيم:

«قيل يارسول الله هل نصل إلى نسائنا في الجنة؟ فقال: إن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء».

وفي الصحيحين عن أبي موسى مرفوعاً:

«إن للمؤمن في الجنة خيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً فيها أهلون يطوف عليهم.»

وروى سعيد بن منصور عن عكرمة في قوله تعالى: «إنَّ

أَصْحابَ الجَنَّةِ اليَوْمَ في شُغُلٍ فاكِهونَ[1]» قال في افتضاض الأبكار.

وروي مثل ذلك عن ابن مسعود وابن عباس والأوزاعي ومقاتل والأحوص.

وروى الترمذي عن أبي سعيد مرفوعاً:

«والمؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة كان حمله ووضعه وسنه في ساعة كما يشتهي». قال الترمذي هذا حديث حسن غريب. وقال ابن القيم: إسناده على شرط الصحيح فرجاله محتج بهم فيه ولكنه غريب جداً.

وقوله: إذا اشتهى معلق بالشرط ولا يلزم من التعليق وقوع المعلق ولا المعلق به. و (إذا) وإن كانت ظاهرة في المحقق فقد تستعمل لمجرد التعليق الأعم عن المحقق وغيره.

قال ابن القيم: وفي هذا الموضع يتعين ذلك لوجوه: منها حديث أبي رزين الذي رواه عبد الله بن الإمام أحمد في مسند أبيه وفيه أنه لا توالد في الجنة. ومنها قول الله تعالى: «وَلَهُمْ فيها أَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ[2]» وقد فسره مجاهد وعطاء بأنها مطهرة من الحيض والغائط والبول والنخام والبصاق والمني والولد. ومنها قوله ﷺ: «غير أنه لا

---

(١) يس: ٥٥ (٢) البقرة: ٢٥

مني ولامنية. أي لا إنزال ولا موت. والحديث رواه الطبراني عن أبي أمامة ورواه الحسن بن سفيان في مسنده أيضاً عن طريق أخرى عن أبي أمامة. ولفظه عنده سئل رسول الله ﷺ: هل ينكح أهل الجنـة؟ فقال رسول الله ﷺ: إي والذي بعثني بالحق دحماً دحماً وأشار بيده ولكن لامني ولا منية.

ثم ذكر ابن القيم وجوهاً منها أن الإنسان لا ينمو في الجنة كما ينمـو في الـدنيا فلا ولدان أهلها ينمون ويكبرون ولا الرجال ينمون، بل هؤلاء ولدان صغار لا يتغيرون، وهؤلاء أبناء ثلاث وثـلاثـين لا يتغيرون. فلو كان في الجنة ولادة لكان المولود ينمو ضرورة حتى يصير رجلاً ومعلوم أن من مات من الأطفال يردون أبناء ثلاث وثلاثين من غير نمو، ثم وان الله سبحانه وتعالى ينشيء أهل الجنة نشأة الملائكة أو أكمل من نشأتهم، بحيث لا يبولون ولا يتغوطون ولا ينامون، ويلهمون التسبيح، ولا يهرمون على تطاول الأحقاب، ولا تنمو أبدانهم، بل القدر الذي جعلوا عليه لازم لهم أبداً.

ثم قال ابن القيم: وحديث أبي سعيد الخدري هذا أجود أسانيده اسناد الترمذي وقد حكم بغرابته، فإن كان رسول الله ﷺ قد قالـه فيكون حديث أبي رزين إذ ذاك نفي للتوالد المعهود في الـدنيا، ولا ينفي ولادةً حملُ الـولد فيها ووضعه وسنه وشبابه في ساعه واحدة. والله أعلم.

سماع الجنة

قال الله تعالى:

«وَيَوْمَ تَقومُ السّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتفَرّقونَ * فَأَمّا الذينَ آمَنوا وعَمِلوا الصَّالِحاتِ فَهُمْ في رَوْضَةٍ يُحْبَرونَ»[1].

قال يحيى بن أبي كثير: الحبْر: السماع في الجنة فإذا أخذ أهل الجنة في السماع لم تبق شجرة إلا وردّت[2]

وقال رجل من قريش لابن شهاب هل في الجنة من سماع فإنه حبب إلي السماع؟ فقال: إي والذي نفس ابن شهاب بيده إن في الجنة لشجراً حمله اللؤلؤ والزبرجد، تحته حوار ناهدات يتغنين بألوان، يقلن نحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الخالدات فلا نموت، فإذا سمع ذلك الشجر صفق بعضه بعضاً فأجبن الحواري، فلا ندري أصوات الحواري أحسن أم أصوات الشجر.

وقد أورد ابن القيم حديث علي الذي رواه الترمذي ولفظه

---

(١) الروم: ١٤ ـ ١٥

(٢) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ح ٦ ص ٢٩٣

إن في الجنة لمجتمعاً للحور العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها، يقلن: «نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط، طوبى لمن كان لنا وكنا له.

وقد حكم الترمذي بغرابته أي بضعفه لكنه قال:

وفي الباب عن أبي هريرة وأبي سعيد وأنس. قال ابن القيم وفي الباب عن ابن أبي أوفى وأبي أمامة وعبد الله بن عمر أيضاً. ثم أورد ابن القيم هذه الأحاديث ومنها يعرف أن للسماع في الجنة أصلاً بمجموع هذه الطرق.

ثم ذكر ابن القيم سماعاً أعلى من هذا عن الأوزاعي قال: بلغني أنه ليس من خلق الله أحسن صوتاً من إسرافيل فيأمره الله تبارك وتعالى فيأخذ في السماع، فما يبقى ملك في السموات إلا قطع عليه صلاته، فيمكث بذلك ماشاء الله أن يمكث، فيقول الله عز وجل: وعزتي لو يعلم العباد قدر عظمتي ماعبدوا غيري.

وروى ابن أبي الدنيا عن محمد بن المنكدر قال:

إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كانوا ينزهون أسماعهم وأنفسهم عن مجالس اللهو ومزامير الشيطان، أسكنوهم رياض المسك ثم يقول للملائكة: أسمعوهم تمجيدي وتحميدي.

وروى عن مالك بن دينار في قوله عز وجل: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مآبٍ﴾[1]. قال: إذا كان يوم القيامة أُمر بمنبر رفيع

---

(١) ص: ٤٠

فوضع في الجنة، ثم نودي ياداود مجّدني بذلك الصوت الحسن الرخيم، الذي كنت تمجدني به في دار الدنيا. قال: فيستفرغ صوت داود نعيم أهل الجنان فذلك قوله تعالى: ﴿وإِنَّ لَهُ عِنْدَنا لَزُلْفى وحُسْنَ مآبٍ﴾.

وقال شهر بن حوشب: إن الله جل ثناؤه يقول للملائكة: إن عبادي كانوا يحبون الصوت الحسن في الدنيا. فيدعونه من أجلي، فأسمعوا عبادي. فيأخذون بأصوات من تهليل وتسبيح وتكبير لم يسمعوا بمثله قط.

قال ابن القيم:

ولهم سماع أعلى من هذا يضمحل دونه كل سماع، وذلك حين يسمعون كلام الرب جل جلاله، وخطابه وسلامه عليهم، ومحاضرته لهم، ويقرأ عليهم كلامه، فإذا سمعوه منه فكأنهم لم يسمعوه قبل ذلك. وليس في الجنة لذة أعظم من النظر إلى وجه الرب تعالى وسماع كلامه منه. ولايعطى أهل الجنة شيئاً أحب إليهم من ذلك.

وفي تفسير ابن الجوزي سئل يحيى بن معاذ أي الأصوات أحسن؟ فقال: مزامير أُنس، في مقاصير قدس، بألحان تحميد في رياض تمجيد «في مُقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَليكٍ مُقْتَدِرٍ»[1].

---

(١) القمر: ٥٥

مطايا الجنة

قال عبد الله بن عمرو: في الجنة عتاق الخيل وكرائم النجائب وقد أورد ابن القيم في حادي الأرواح أحاديث فيها ذكر خيول الجنة وإبلها منها مارواه الترمذي أن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال يارسول الله هل في الجنة من خيل؟ فقال: «إن أدخلك الله الجنة فلا تشاء أن تحمل فيها على فرس من ياقوتة حمراء يطير بك في الجنة حيث شئت إلا فَعَلْتَ».

قال وسأله رجل فقال: يارسول الله هل في الجنة من إبل؟ قال: فلم يقل ماقاله لصاحبه: قال: إن أدخلك الله الجنة يكن لك فيها مااشتهت نفسك ولذت عينك.

وهو من رواية علقمة بن مرثد وقد اضطرب فيه.

وحديث أبي سورة عن أبي أيوب قال: أتى النبي ﷺ أعرابي فقال يارسول الله إني أحب الخيل. أفي الجنة خيل؟ قال رسول الله ﷺ: «إذا دخلت الجنة أتيت بفرس من ياقوتة له جناحان فحملت عليه ثم طار بك حيث شئت» قال الترمذي: وهذا حديث ليس

إسناده بالقوي وأبو سورة هو ابن أخي أبي أيوب يضعف في الحديث.

ثم أورد ابن القيم حديث أبي الشيخ عن جابر وهو حديث معنعن ومن مجموع هذه الأحاديث ومن أثر ابن عمرو الصحيح يعلم أن للخيل وجوداً في الجنة.

وقال الضحاك في قوله عز وجل:

«يَوْمَ نَحْشُرُ المتَّقينَ إلى الرَّحْمَنِ وَفْداً»[1].

قال: على النجائب عليها الرحال.

وفي باب مطايا الجنة أحاديث يستفاد من مجموع طرقها أن للخيل وجوداً في الجنة وكذلك للإبل.

وقد نقل ابن القيم قول جابر بن عبد الله رضي الله عنه:

«إذا دخل أهل الجنة الجنة وأديم عليهم بالكرامة جاءتهم خيول، من ياقوت أحمر، لاتبول ولاتروث لها أجنحة...

---

(١) مريم: ٨٥

الزيارات في الجنة

قال تعالى:

«فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ * يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ * أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَدِينُونَ[(1)] * قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ * فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ[(2)] * وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ»[(3)].

وقال تعالى:

«وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ * إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ»[(4)].

وروى الدورقي عن حميد بن بلال قال:

---

(١) أي محاسبون

(٢) أي لتهلكني

(٣) أي المحضرين معك في العذاب. والآيات من سورة الصافات ٥٠ ـ ٥٧

(٤) الطور: ٢٥ ـ ٢٧

بلغنا أن أهل الجنة يزور الأعلى الأسفل ولا يزور الأسفل الأعلى وقد سأل النبي ﷺ حارثة فقال: كيف أصبحت ياحارثة؟ قال: أصبحت مؤمناً حقاً. قال: إن لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك؟ قال: عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً وإلى أهل الجنة يتزاورون فيها. وإلى أهل النار يعذبون فيها. فقال: عبدٌ نوّر الله قلبه».

قال ابن القيم رحمه الله:

وهم زيارة أخرى أعلى من هذه وأجل، وذلك حين يزورون ربهم تبارك وتعالى، فيريهم وجهه، ويسمعهم كلامه، ويحل عليهم رضوانه فقد روى الإمام الشافعي في مسنده عن أنس بن مالك قال:

أتى جبريل بمرآة بيضاء فيها وكت (أي أثر) إلى النبي ﷺ فقال النبي ﷺ ماهذا؟ قال: الجمعة، فضلت بها أنت وأمتك، فالناس لكم فيها تبع، اليهود والنصارى. ولكم فيها خير، وفيها ساعة لايوافقها مؤمن يدعو الله بخير إلا استجيب له، وهو عندنا يوم المزيد.

قال النبي ﷺ: ياجبريل ومايوم المزيد؟ قال: إن ربك اتخذ من الفردوس وادياً أفيح فيه كثب المسك، فإذا كان يوم القيامة أنزل الله تبارك وتعالى ماشاء من ملائكته، وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين، وخلف تلك المنابر منابر من ذهب مكللة

بالياقـوت والـزبـرجد، عليها الشهداء والصديقون فجلسوا من ورائهم على تلك الكثب. فيقول الله تعالى: أنا ربكم قد صدقتم وعـدي، فسلوني أعـطكم، فيقـولـون: ربنا نسألك رضوانك، فيقـول: قد رضيت عنكم ولكم ماتمنيتم، ولـدي مزيد». فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير، وهو اليوم الذي استـــوى فيه ربكم على العــرش، وفيه خلق آدم عليه الصــلاة والسلام وفيه تقوم الساعة.

قال ابن القيم: ولهذا الحديث طرق

وقد ذكر منها مارواه الدارقطني من طرق وأبو بكر بن أبي شيبة وابن خزيمة وابن بطة في الإبانة قال: وقد جمع ابن أبي داود طرقه.

تذاكر أهل الجنة ماكان بينهم

قال الله تعالى:

«فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ على بَعْضٍ يَتَساءَلونَ * قالَ قائِلٌ مِنْهُمْ إِنّي كانَ لي قَرينٌ * يَقولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ المُصَدِّقينَ * أئذا مِتْنا وكُنّا تُراباً وعِظاماً أَئِنّا لَمَدينونَ* قالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعونَ * فاطَّلَعَ فَرآهُ في سَواءِ الجَحيم * قالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدينِ * وَلَوْلا نِعْمَةُ رَبّي لَكُنْتُ مِنَ المُحْضَرينَ»[1].

فأخبر سبحانه وتعالى عن تحدث أهل الجنة بعضهم مع بعض وتذاكرهم أحوالاً كانت في الدنيا.

وقال تعالى:

«وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ على بَعْضٍ يَتَساءَلونَ * قالوا إِنّا كُنّا قَبْلُ في أَهْلِنا مُشْفِقينَ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنا وَوَقانا عَذابَ السَّموم»[2].

وروى ابن أبي الدنيا عن الحسن عن أنس قال قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، فيشتاق الإخوان بعضهم

---

(١) الصافات: ٥٠ ـ ٥٧ (٢) الطور: ٢٥ ـ ٢٧

إلى بعض. قال فيسير سرير هذا إلى سرير هذا، وسرير هذا إلى سرير هذا، حتى يجتمعا جميعاً، فيقول أحدهما لصاحبه تعلم متى غفر الله لنا؟ فيقول صاحبه: يوم كنا في موضع كذا وكذا، فدعونا الله فغفر لنا».

الإخوان والأخلاء في الجنة

قال تعالى:

«إِخْواناً عَلى سُرُرٍ مُتَقابِلينَ»[1]

وقال سبحانه:

«الأخِلّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌ إلّا المتَّقينَ»[2].

قال الشوكاني في تفسيره: متقابلين: ينظر بعضهم إلى وجه بعض. والسرر جمع سرير. وقيل هو المجلس الرفيع المهيأ للسرور.

وقال: الأخلاء في الدنيا المتحابون فيها يوم تأتيهم الساعة يعادي بعضهم بعضاً، لأنها قد انقطعت بينهم العلائق واشتغل كل واحد منهم بنفسه، إلا المتقين فإنهم أخلاء في الدنيا والآخرة لأنهم وجدوا تلك الخلة التي كانت بينهم من أسباب الخير والثواب فبقيت خلتهم على حالها.

---

(١) الحجر: ٤٧ (٢) الزخرف: ٦٧

مؤذن الجنة وأذانه

روى مسلم عن حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

«ينادي مناد إن لكم أن تصحّوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً، وذلك قول الله عز وجل «وَنودوا أَنْ تِلْكُمُ الجَنَّةُ أُورِثْتُموها بِما كُنْتُمْ تَعْمَلونَ»[1].

وروى من حديث صهيب أن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد ياأهل الجنة إن لكم عند الله موعداً. فيقولون: ماهو؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا، ويدخلنا الجنة، وينجنا من النار؟ فيكشف الحجاب فينظرون إلى الله، فوالله ماأعطاهم الله شيئاً هو أحب إليهم من النظر إليه.

---

(١) الاعراف: ٤٣

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال:

«يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول: ياأهل الجنة لاموت، ويا أهل النار لاموت كل خالد فيما هو فيه».

سوق الجنة

روى مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«إن في الجنـة لسوقاً يأتونها كل جمعة، فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم، فيزدادون حسناً وجمالاً، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً، فيقولون: والله وأنتم لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً.

ورواه الإمـام أحمد ولفظه: فيها كثبان المسك فإذا خرجوا إليها هبت الريح. الحديث

ملك الجنة

قال تعالى:

«وَإِذا رأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعيماً وَمُلْكاً كَبيراً»[1].

قال مجاهد: ملكاً عظيماً ولا تدخل الملائكة عليهم إلا بإذن.

وقال كعب: يرسل إليهم ربهم الملائكة فتأتي الملائكة فتستأذن عليهم.

وقال بعضهم الملك الكبير: الخدم

وروى ابن أبي الدنيا عن أنس مرفوعاً:

«إن أسفل أهل الجنة أجمعين درجة، من يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم».

وعنه موقوفاً:

«إن أدنى أهل الجنة منزلة وليس فيهم دني، من يغدو عليه كل يوم ويروح خمسة عشر ألف خادم، ليس منهم خادم إلا ومعه

---

(١) الإنسان: ٢٠

طرفة ليست مع صاحبه.

وفي صحيح مسلم من حديث المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ قال:

«سأل موسى ربه ماأدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يجيء بعدما أدخل أهل الجنة الجنة فيقال له: ادخل الجنة. فيقول: أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت ربي. فيقول له: لك ذلك ومثله ومثله ومثله فقال في الخامسة. رضيت ربي. فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ماشتهت نفسك ولذت عينك. فيقول رضيت ربي. الحديث[1].

وروى البزار في مسنده عن أبي سعيد قال:

«خلق الله الجنة لبنة من فضة ولبنة من ذهب وغرسها بيده وقال لها تكلمي. فقالت: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤمِنونَ). فدخلتها الملائكة فقالت: طوبى لك منزل الملوك».

وفي مسند أحمد بإسناد حسن من حديث أبي بريدة عن أبيه يرفعه: «تعلموا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة. وفيه: والقرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين

---

(١) راجع باب أدنى أهل الجنة منزلة من هذا الكتاب

ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول له: ماأعرفك. فيقول له القرآن: أنا الذي أظمأتك في الهواجر وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء تجارته، وإنك اليوم من وراء كل تجارة، فيعطى الملك بيمنيه والخلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار. الحديث».

قال ابن القيم: ولا يلبس التيجان إلا الملوك

النضرة والسرور والحبور والسعادة

قال تعالى:

«إِنَّ الأَبْرارَ يَشْرِبونَ مِنْ كَأْسٍ كان مِزاجُها كافوراً * عَيْناً يَشْرَبُ بها عِبادُ اللَّهِ يُفَجِّرونَها تَفْجيراً * يوفونَ بالنَّذْرِ وَيَخافونَ يَوْماً كانَ شَرُّهُ مُسْتَطيراً * وَيُطْعِمونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكيناً وَيَتيماً وَأَسيراً * إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لانُريدُ مِنْكُمْ جَزاءً ولا شُكوراً * إِنّا نَخافُ مِنْ رَبِّنا يَوْماً عَبوساً قَمْطَريراً * فَوَقاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ اليَوْمِ وَلَقّاهُمْ نَضْرَةً وَسروراً»[1].

وقال سبحانه:

«إِنَّ الأَبْرارَ لَفي نَعيمٍ * عَلى الأَرائِكِ يَنْظُرونَ * تَعْرِفُ في وُجوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعيمِ»[2].

وقال عز وجل:

«وُجوهٌ يَوْمَئذٍ ناضِرَةٌ إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ»[3].

---

(١) الإنسان: ٥ ـ ١١ (٢) المطففين: ٢٢ ـ ٢٤ (٣) القيامة: ٢٢ ـ ٢٣

وقال سبحانه:

«فَأَما الذينَ آمنَوا وعَمِلوا الصَّالِحاتِ فَهُمْ في رَوْضَةٍ يُحْبَرونَ»[1].

وقال جل شأنه:

«الـذينَ آمَنـوا بآياتِنا وكانوا مُسْلمينَ * ادخُلوا الجَنَّةَ أنتُمْ وَأَزْواجُكُمْ تُحْبَرونَ»[2].

وقال تعالى:

«وأمّـا الـذين سَعِـدوا فَفي الجَنَّـةِ خالـدِينَ فيها مادامَتِ السَّماواتُ والأرْضُ إلا ماشاءَ رَبُّكَ عَطاءً غَيْرَ مَجْذوذٍ»[3].

---

(١) الروم: ١٥ ومعنى يحبرون ينعمون ويفرحون ويسرون (راجع تفسير زاد المسير لابن الجوزي).

(٢) الزخرف: ٦٩ ـ ٧٠ (٣) هود: ١٠٨

في الجنة فوق مايخطر بالبال

قال تعالى:

«تَتَجافى جُنوبُهُمْ عَنِ المضاجِعِ يَدْعونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وطَمَعاً ومِمّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقونَ * فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ماأُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزاءً بِما كانوا يَعْمَلونَ»[1].

قال ابن القيم في حادي الأرواح:

تأمل كيف قابل ماأخفوه من قيام الليل بالجزاء الذي أخفاه لهم مما لاتعلمه نفس، وكيف قابل قلقهم وخوفهم واضطرابهم على مضاجعهم حين يقومون إلى صلاة الليل بقرّة الأعين في الجنة.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«قال الله عز وجل أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. مصداق ذلك في كتاب

---

(١) السجدة: ١٦ - ١٧

الله (فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ماأُخْفي لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزاءً بِما كانوا يَعمَلونَ)

وفيهما عنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ :

«لقاب[1] قوس أحدكم في الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب.

وفي صحيح البخاري من حديث سهل بن سعد مرفوعاً:

«موضع سوط في الجنة خير من الدنيا ومافيها».

قال ابن القيم رحمه الله:

وكيف يقدر قدر دار غرسها الله بيده سبحانه، وجعلها مقراً لأحبابه، وملأها من رحمته وكرامته ورضوانه، ووصف نعيمها بالفوز العظيم، وملكها بالملك الكبير، وأودعها جميع الخير بحذافيره، وطهرها من كل عيب وآفة ونقص؟ فإن سألت عن أرضها وتربتها فهي المسك والزعفران، وإن سألت عن سقفها فهي عرش الرحمن، وإن سألت عن ملاطها فهو المسك الأذفر، وإن سألت عن حصبائها فهو اللؤلؤ والجوهر، وإن سألت عن بنائها فلبنة من فضة ولبنة من ذهب، وإن سألت عن أشجارها فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهب وفضة لا من الحطب والخشب، وإن سألت عن ثمرها فأمثال القلال ألين من الزبد، وأحلى من

---

(١) مقدار مابين نصف وتر القوس وطرفه

العسل، وإن سألت عن ورقها فأحسن مايكون من رقائق الحلل، وإن سألت عن أنهارها فأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، وإن سألت عن طعامهم ففاكهة مما يتخيرون، ولحم طير مما يشتهون، وإن سألت عن شرابهم فالتسنيم والزنجبيل والكافور، وإن سألت عن آنيتهم فآنية الذهب والفضة في صفاء القوارير، وإن سألت عن سعة أبوابها فبين المصراعين مسيرة أربعين من الأعوام، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام، وإن سألت عن تصفيق الرياح لأشجارها فإنها تستفز بالطرب لمن يسمعها، وإن سألت عن ظلها ففيها شجرة واحدة يسير الراكب المجد السريع في ظلها مائة عام لايقطعها، وإن سألت عن سعتها فأدنى أهلها يسير في ملكه وسرره وقصوره وبساتينه مسيرة ألفي عام، وإن سألت عن خيامها وقبابها فالخيمة الواحدة من درة مجوفة طولها ستون ميلاً من تلك الخيام، وإن سألت عن علاليها وجواسقها فهي غرف من فوقها غرف مبنية، تجري من تحتها الأنهار، وإن سألت عن ارتفاعها فانظر إلى الكوكب الطالع أو الغارب في الأفق الذي لاتكاد تناله الأبصار، وإن سألت عن لباس أهلها فهو الحرير والذهب وإن سألت عن فرشها فبطائنها من استبرق مفروشة في أعلى الرتب، وإن سألت عن أرائكها فهي الأسرة عليها البشخانات وهي الحجال مزررة بأزرار الذهب فمالها من فروج ولا خلال. وإن سألت عن وجوه

أهلها وحسنهم فعلى صورة القمر، وإن سألت عن أسنانهم فأبناء ثلاث وثلاثين على صورة آدم عليه السلام أبي البشر، وإن سألت عن سماعهم فغناء أزواجهم من الحور العين وأعلى منه سماع أصوات الملائكة والنبيين وأعلى منهما خطاب رب العالمين، وإن سألت عن مطاياهم التي يتزاورون عليها فنجائب إن شاء الله مما شاء تسير بهم حيث شاؤوا من الجنان، وإن سألت عن حليهم وشارتهم فأساور الذهب واللؤلؤ وعلى الرؤوس التيجان، وإن سألت عن غلمانهم فولدان مخلدون كأنهم لؤلؤ مكنون، وإن سألت عن عرائسهم وأزواجهم فهن الكواعب الأتراب اللاتي جرى في أعضائهن ماء الشباب فللورد والتفاح مالبسته الخدود، وللرمان ماتضمنته النهود، وللؤلؤ المنظوم ماحوته الثغور، وللرقة واللطافة مادارت عليه الخصور، تجري الشمس من محاسن وجهها إذا برزت، ويضيء البرق من بين ثناياها إذا ابتسمت..

إلى أن قال:

هذا وإن سألت عن يوم المزيد وزيارة العزيز الحميد ورؤية وجهه المنزه عن التمثيل والتشبيه كما ترى الشمس في الظهيرة والقمر ليلة البدر. فاستمع يوم ينادي المنادي ياأهل الجنة إن ربكم تبارك وتعالى يستزيركم فحي على زيارته فيقولون سمعاً وطاعة.

إلى أن قال:

فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى يضحك إليهم ويقول: هذا يوم المزيد فاسألوني. فيجتمعون على كلمة واحدة. أرنا وجهك ننظر إليه، فيكشف لهم الرب جل جلاله الحجب، ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره مالولا أن الله تعالى قضى أن لايحترقوا لاحترقوا.

فيالذة الأسماع بتلك المحاضرة وياقرة عيون الأبرار بالنظر إلى وجه الكريم في الدار الآخرة، ويا ذلة الراجعين بالصفقة الخاسرة.

«وُجوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ * ووَجوهٌ يَوْمَئِذٍ باسِرَةٌ * تَظُنَّ أَنْ يُفْعَلَ بها فاقِرَةٌ»[1].

فحـــي على جنـــات عدن فإنها
منـــازلـــك الأولى وفـــيهـــا المـــخيم

---

(١) القيامة: ٢٢ ـ ٢٥

الإكرام وعدم الخوف والحزن والتعب

قال تعالى :

«إلّا عِبَادَ اللَّهِ المُخْلَصينَ * أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلومٌ * فَواكِهُ وَهُمْ مُكْرَمونَ * في جَنّاتِ النَّعيمِ »[1] .

وقال عز وجل :

«إنَّ الإنْسانَ خُلِقَ هَلوعاً * إذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزوعاً * وإذا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنوعاً * إلا المصَلِّينَ * الذينَ هُمْ على صَلاتِهِمْ دائِمونَ * والذينَ في أَموالِهِمْ حَقٌّ مَعْلومٌ * للسّائِلِ وَالمَحْرومِ * والذينَ يُصَدِّقونَ بِيَوْمِ الدِّينِ * والذينَ هُمْ مِنْ عَذابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقونَ * إنَّ عذابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمونٍ * والذينَ هُمْ لِفُروجِهِمْ حافِظونَ * إلا عَلى أَزْواجِهِمْ أَوْ مامَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مُلومينَ * فَمَنِ ابْتَغى وَراءَ ذَلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ العادونَ * والذينَ هُمْ لأَماناتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ راعونَ * والذينَ هُمْ بِشهاداتِهِمْ قائِمونَ * والذينَ هُمْ على صَلاتِهِمْ يُحافِظونَ * أُولئِكَ في جَنَّاتٍ مُكْرَمونَ»[2] .

---

(١) الصافات : ٤٠ ـ ٤٣ (٢) المعارج ١٩ ـ ٣٥

وقال سبحانه:

«وَلا تَحْسَبَنَّ الذينَ قُتِلوا في سَبيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرزَقونَ * فَرِحينَ بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرونَ بالَّذينَ لَمْ يَلْحَقوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنونَ»[1].

وقال تعالى:

«وَنـادى أَصْحابُ الأَعْرافِ رِجالاً يَعْرِفونَهُمْ بِسيماهُمْ قالوا ماأَغْنى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وماكُنْتُمْ تَسْتَكْبِرونَ * أَهؤلاءِ الَّذينَ أَقْسَمْتُمْ لايَنالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلوا الجَنَّةَ لاخَوْفٌ عَلَيْكُمْ ولا أَنْتُمْ تَحْزَنونَ»[2]

وقال سبحانه:

«جَنّاتُ عَدْنٍ يَدْخلونَها يُحَلَّونَ فيها مِنْ أَساورَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً ولِباسُهُمْ فيها حَريرٌ * وَقالوا الحَمْدُ للَّهِ الذي أَذْهَبَ عنّا الحَزَنَ إِنَّ رَبَنا لَغَفورٌ شَكورٌ * الذي أَحَلَّنا دارَ المُقامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لايَمَسُّنا فيها نَصَبٌ ولا يَمَسُّنا فيها لُغوبٌ»[3].

---

(١) آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧٠ (٢) الاعراف: ٤٨ ـ ٤٩

(٣) فاطر: ٣٣ ـ ٣٥ واللغوب: الإعياء كما قال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن

الشباب والصحة

روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

«ينـادي مناد إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً. وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً. وإن لكم أن تَشِبّوا فلا تهرموا أبداً. وإن لكم أن تَنْعموا فلا تبأسوا أبداً. وذلك قوله عز وجل «وَنودوا أنْ تِلْكُمُ الجَنَّةُ أُورِثْتُموها بِما كُنْتُمْ تَعْمَلونَ»[1].

(١) الاعراف: ٤٣

رؤية الله في الجنة

قال تعالى:
«وَاتَّقوا اللَّهَ وَاعْلَموا أَنَّكُمْ مُلاقوهُ وبَشِّرِ المُؤمنينَ»[1].
وقال تعالى:
«تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سُلاَمٌ وَأعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً»[2].
وقال تعالى:
«فَمَنْ كانَ يَرْجو لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالِحاً ولا يُشْرِكْ بِعبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً»[3].
وقال تعالى:
«قالَ الذينَ يَظُنّونَ أَنَّهُمْ مُلاقو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَليلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهُ واللَّهُ مَعَ الصّابرينَ»[4].

قال ابن القيم رحمه الله: أجمع أهل اللسان على أن اللقاء متى نسب إلى الحي السليم من العمى والمانع اقتضى المعاينة والرؤية.

---

(١) البقرة: ٢٢٣ (٢) الاحزاب: ٤٤ (٣) الكهف: ١١٠ (٤) البقرة: ٢٤٩

وقال تعالى:

«ياأَيُّها الإِنْسانُ إِنَّكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقيهِ»[1].

إن عاد الضمير على العمل فهو رؤيته في الكتاب مسطوراً ثابتاً وإن عاد على الرب سبحانه فهو لقاؤه الذي وعد به.

وقال تعالى:

«لِلَّذينَ أَحْسَنوا الحُسْنى وَزِيادَةٌ ولا يَرْهَقُ وجوهَهُمْ قَتَرٌ ولا ذِلَّةٌ أُولئكَ أَصْحابُ الجَنَّةِ هُمُ فيها خالدونَ»[2].

فالحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجهه الكريم، كذلك فسرها رسول الله ﷺ والصحابة من بعده.

ففي صحيح مسلم عن صهيب قال: «قرأ رسول الله ﷺ: (لِلَّذينَ أَحْسَنوا الحُسْنى وزِيادَةٌ) قال:

إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، نادى مناد ياأهل الجنة إن لكم عند الله موعداً، ويريد أن ينجزكموه. فيقولون: ماهو؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار؟ فيكشف الحجاب فينظرون الله فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه وهي الزيادة».

وروى هذا التفسير عن رسول الله ﷺ الدارقطني والحسن بن عرفة من طريق أنس، ومحمد بن جرير الطبري من طريق كعب

---

(١) الانشقاق: ٦ (٢) يونس: ٢٦

بن عجرة وأبي بن كعب، ورواه ابن وهب من طريق أبي موسى الأشعري.

أما تفسير الصحابة لهذه الآية بما ذكر فقد رواه ابن جرير عن أبي بكر الصديق وحذيفة وأبي موسى الأشعري. ورواه ابن المارك عن أبي موسى،ورواه أسباط بن نصر عن ابن مسعود. قال الحاكم: وتفسير الصحابي عندنا في حكم المرفوع

وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى، وعامر بن سعد واسماعيل بن عبد الرحمن السدي، والضحاك بن مزاحم، وعبد الرحمن بن سابط وأبو اسحاق السبيعي وقتادة وسعيد بن المسيب والحسن البصري وعكرمة مولى ابن عباس ومجاهد بن جبير: الحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله تعالى.

وقال غير واحد من السلف في الآية (وَلا يَرْهَقُ وُجوهَهُمْ قَتَرٌ ولا ذِلَّةٌ)[1] بعد النظر إليه. والأحاديث عنهم بذلك صحيحة كما قال ابن القيم في حادي الأرواح.

ولما عطف سبحانه الزيادة على الحسنى التي هي الجنة، دل على أنها أمر وراء الجنة وقدر زائد عليها. ومن فسر الزيادة بالمغفرة والرضوان فهو من لوازم رؤية الرب تبارك وتعالى.

وقال تعالى:

«كَلّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يومَئِذٍ لمَحجوبونَ»[1].

---

(١) المطففين: ١٥

قال الشافعي[1] رحمه الله فيها دليل على أن أولياء الله يرون ربهم يوم القيامة. فلما أن حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضى. فالمؤمنون لايحجبون عن الله عز وجل.

وقال تعالى:

«لَهُمْ مايَشاؤونَ فيها وَلَدَيْنا مَزيدٌ»[2].

قال علي وأنس: «هو النظر إلى وجه الله عز وجل»

وقاله من التابعين زيد بن وهب وغيره كما نقل الطبراني.

وقال تعالى:

«لاتُدْرِكُهُ الأَبْصارُ وَهو يُدْرِكُ الأَبْصارَ وهُو اللَّطيفُ الخَبيرُ»[3].

قال ابن عباس: «لاتحيط به الأبصار».

وقال قتادة: «هو أعظم من أن تدركه الأبصار» وقال عطية: «ينظرون إلى الله ولا تحيط أبصارهم به من عظمته، وبصره يحيط بهم».

فالمؤمنون يرون ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم عياناً ولا تحيط به أبصارهم. وليس من الجائز أن يوصف الله تعالى بأن شيئاً يحيط به وهو بكل شيء محيط. وهكذا يسمع كلام من يشاء من خلقه

(١) راجع أحكام القرآن للشافعي ح١ ص ٤٠

(٢) ق: ٣٥ | (٣) الأنعام: ١٠٣

ولا يحيطون بكلامه وهكذا يعلم الخلق ماعلّمهم ولا يحيطون بعلمه.

قال ابن تيمبة رحمه الله:

ذكـر الله تعـالى هذه الآية (لاتَـدْرِكُـه الأَبْصارُ) في سياق التمـدح. ومعلوم أن المـدح إنما يكون بالأوصاف الثبوتية، وأما العدم المحض فليس بكمال، ولا يمدح الله تبارك وتعالى بالعدم إلا إذا تضمن أمراً وجودياً، كتمدحه بنفي السِّنة والنوم المتضمن كمال القيومية، ونفي الموت المتضمن كمال الحياة، ونفي اللغوب والإعياء المتضمن كمال القدرة، ونفي الشريك والصاحبة والولد والظهير المتضمن كمال ربوبيته وإلهيته وقهره، ونفي الأكل والشرب المتضمن كمال الصمـدية وغنـاه،ونفي الشفـاعة عنده بدون إذنه المتضمن كمال توحيده وغناه عن خلقه، ونفي الظلم المتضمن كمال عدله وعلمه وغناه، ونفي النسيان وعزوب شيء عن علمه المتضمن كمال علمـه وإحاطته، ونفي المثل المتضمن لكمال ذاته وصفاته. ولهذا لم يتمدح بعدم محض لايتضمن أمراً ثبوتياً، فإن المعدوم يشارك الموصوف في ذلك العدم ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه. فلو كان المراد بقوله (لاتُدْرِكُهُ الأَبْصارُ) أنه لايرى بحال لم يكن في ذلك مدح ولا كمال، لمشاركة المعدوم له في ذلك، فإن العدم الصرف لايرى ولا تدركه الأبصار، والرب جل جلاله يتعالى أن يمتدح بما يشاركه فيه العدم المحض.

فإذاً المعنى أنه يُرى ولا يدرك ولا يحاط به كما كان المعنى في قوله تعالى (وَما يَعزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقالِ ذَرَّةٍ)[1] أنه يعلم كل شيء،وفي قوله (وما مَسَّنا مِنْ لُغوبٍ)[2] أنه كامل القدرة،وفي قوله (ولا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً)[3] أنه كامل العدل، وفي قوله: (لاتَأْخُذُهُ سِنَةٌ ولا نَوْمٌ)[4] أنه كامل القيومية، فقوله: (لاتُدْرِكُهُ الأبْصارُ)[5] يدل على غاية عظمته وأنه أكبر من كل شيء، وأنه لعظمته لايدرك بحيث يحاط، فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء، وهو قدر زائد على الرؤية كما قال تعالى: «فَلَمّا تَراءىَ الجَمْعانِ قالَ أَصْحابُ موسى إنا لَمُدْرَكونَ * قالَ كلا»[6] فلم ينف موسى الرؤية ولم يريدوا بقولهم (إنا لمدْرَكونَ) إنا لمرئيون، فإن موسى صلوات الله وسلامه عليه نفى إدراكهم إياهم بقوله (كلا) وأخبر الله سبحانه أنه لايخاف دركهم بقوله (وَلَقَدْ أَوحَيْنا إلى موسى أَنْ أَسْرِ بعبادي فاضْرِبْ لَهُمْ طَريقاً في البَحْرِ يَبَساً لاتَخافُ دَرَكاً ولا تَخْشَى)[7] فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه، فالرب تعالى يرى ولا يدرك كما يعلم ولا يحاط به وهذا هو الذي فهمه الصحابة والأئمة من الآية . .

إلى أن قال رحمه الله:

ونظير هذا استدلالهم على نفي الصفات بقوله تعالى (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)[8] وهـذا من أعـظم الأدلـة على كثرة صفات كماله

---

(١) يونس: ٦١ (٢) ق: ٣٨ (٣) كهف: ٤٩ (٤) البقرة: ٢٥٥ (٥) الأنعام: ١٠٣ (٦) الشعراء: ٦١ ـ ٦٢ (٧) طه: ٧٧ (٨) الشورى: ١١

ونعوت جلاله، وأنها لكثرتها وعظمتها وسعتها لم يكن له مثل فيها، وإلا فلو أريد بها نفي الصفات لكان العدم المحض أولى بهذا المدح منه. مع أن جميع العقلاء إنما يفهمون من قول القائل: فلان لا مثيل له وليس له نظير ولا شبيه ولا مثل، أنه قد تميز عن الناس بأوصاف ونعوت لا يشاركونه فيها، وكلما كثرت أوصافه ونعوته فاق أمثاله، وبَعُد عن مشابهة أضرابه، فقوله: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) من أدل شيء على كثرة نعوته وصفاته وقوله (لاتُدْرِكُهُ الأَبْصارُ) من أدل شيء على أنه يرى ولا يدرك. وقد بين ابن القيم رحمه الله حسن المقابلة لفظاً ومعنى بين قوله (لاتُدْرِكُهُ الأَبْصارُ وهو يُدْرِكُ الأَبْصارَ)[1] بأنه سبحانه لعظمته يتعالى أن تدركه الأبصار وتحيط به، وللطفه وخبرته يدرك الأبصار فلا تخفي عليه فهو العظيم في لطفه، اللطيف في عظمته، العالي في قربه،القريب في علوه الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير.

وقال تعالى:

«وجوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إلى رَبِّها ناظِرَةٌ»[2].

قال ابن القيم رحمه الله:

إضافة النظر إلى الوجه الذي هو محله وتعديته بأداة (إلى) الصريحة في نظر العين، وإخلاء الكلام من قرينة تدل على أن

---

(١) الانعام: ١٠٣ (٢) القيامة: ٢٢ ـ ٢٣

المراد بالنظر المضاف إلى الوجه المعدى بإلى خلاف حقيقته وموضوعه، صريح في أن الله سبحانه وتعالى أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى نفس الرب جل جلاله. فإن النظر له عدة استعمالات بحسب صلاته وتعديه بنفسه، فإن عدي بنفسه فمعناه التوقف والانتظار كقوله (انظُرونا نَقْتَبِسْ مِنْ نوركُمْ)[1]، وإن عدي بفي فمعناه التفكر والاعتبار كقوله: (أَوَلَمْ يَنْظروا في مَلَكوتِ السَّماوات والأرض)[2]، وإن عدي بإلى فمعناه المعاينة والإبصار كقوله (انْظروا إلى ثَمَرِه إذا أَثْمَرَ)[3]، فكيف اذا أضيف إلى الوجه الذي هو محل البصر؟

ثم نقل تفسير هذه الآية من رواية ابن مردويه عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى:

«وجوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ) قال: «من البهاء والحسن» (إلى رَبِّها ناظِرَةٌ» قال: في وجه ربها عز وجل»

وقال أبو صالح عن ابن عباس: (إلى رَبِّها ناظِرَةٌ» قال: «تنظر إلى وجه ربها عز وجل»

وقال عكرمة (وجوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ) قال «من النعم، (إلى رَبِّها ناظِرَةٌ» قال: تنظر إلى ربها نظراً.

ثم قال ابن القيم: وهذا قول كل مفسر من أهل السنة والحديث.

---

(١) الحديد: ١٣|(٢) الاعراف: ١٨٥|(٣) الانعام: ٩٩

قال: وقد أخبر الله سبحانه عن اعلم الخلق به في زمانه وهو كليمه ونجيه وصفيه من أهل الأرض أنه سأل ربه تعالى النظر إليه فقال له ربه تبارك وتعالى:

(لَنْ تَراني وَلَكِن انْظُرْ إلى الجَبلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مكانَهُ فَسَوْفَ تَراني * فَلَمّا تَجلّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وخَرَّ موسى صَعِقاً)[1].

ثم بين الدلالة من هذه الآية من وجوه عديدة:

أحدها أنه لايظن بكليم الرحمن أن يسأل ربه مالا يجوز عليه.

الوجه الثاني: أن الله سبحانه وتعالى لم ينكر عليه سؤاله ولو كان محالاً لأنكره عليه، كما أنكر على نوح لما سأله نجاةَ ابنه فقال:

(إني أَعِظُكَ أَنْ تكونَ منَ الجاهِلينَ. قالَ رَبّي إني أَعوذُ بكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مالَيْسَ لي بِهِ عِلْمٌ وَإلّا تَغْفِرْ لي وَتَرْحَمْني أَكُنْ مِنَ الخاسِرينَ)[2].

الوجه الثالث: أنه أجابه بقوله (لن تَراني) ولم يقل: لاتراني، ولا أني لست بمرئي ولا تجوز رؤيتي. وهذا يدل على أنه سبحانه وتعالى يُرى، ولكن موسى لاتحتمل قواه رؤيته في هذه الدار لضعف قوة البشر فيها عن رؤيته تعالى.

الوجه الرابع: قوله (ولكن انْظُرْ إلى الجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقرَّ مكانَهُ فَسَوْفَ تَراني) فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لايثبت لتجليه له

---

(١) الاعراف ١٤٢ ـ ١٤٣ (٢) هود: ٤٦ ـ ٤٧

في هذه الدار فكيف بالبشر الضعيف.

الوجه الخامس: أن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يجعل الجبل مستقراً مكانه، وليس هذا بممتنع في مقدوره بل هو ممكن، وقد علق به الرؤية، ولو كانت محالاً في ذاتها لم يعلقها بالممكن في ذاته، ولو كانت الرؤية محالاً لكان ذلك نظير أن يقول: إن استقر الجبل فسوف آكل وأشرب وأنام.

الوجه السادس: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾[1]وهذا من أبين الأدلة على جواز رؤيته تبارك وتعالى فإنه إذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جماد لاثواب له ولا عقاب، فكيف يمتنع أن يتجلى لأنبيائه ورسله وأوليائه في دار كرامته ويريهم نفسه. فأعلم سبحانه وتعالى موسى أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار فالبشر أضعف.

الوجه السابع: أن ربه سبحانه وتعالى قد كلمه منه وإليه، وخاطبه وناجاه وناداه، ومن جاز عليه التكلم والتكليم وأن يسمع مخاطبة كلامه معه بغير واسطة، فرؤيته أولى بالجواز. ولهذا لايتم إنكار الرؤية إلا بإنكار التكلم. ولهذا سأله موسى النظر إليه لما أسمعه كلامه، وعلم نبي الله جواز رؤيته من وقوع خطابه وتكليمه، فلم يخبره باستحالة ذلك عليه، ولكن أراه أن ماسأله لايقدر على احتماله، كما لم يثبت الجبل لتجليه.

---

(١) الاعراف: ١٤٣

وأما قوله تعالى: ﴿لَنْ تَراني﴾ فإنما يدل على النفي في المستقبل ولا يدل على دوام النفي، ولو قيدت بالتأبيد، فكيف إذا أطلقت. قال تعالى: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدا﴾(١) مع قوله تعالى: ﴿ونادَوا يامالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ﴾(٢).

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في حادي الأرواح: «أما الأحاديث عن النبي ﷺ وأصحابه الدالة على الرؤية فمتواترة. رواها عنه أبو بكر الصديق وأبو هريرة وأبو سعيد الخدري، وجرير بنْ عبد الله البجلي وصهيب بن سنان الرومي وعبد الله بن مسعود الهذلي، وعلي بن أبي طالب، وأبو موسى الأشعري، وعدي بن حاتم الطائي، وأنس بن مالك الأنصاري، وبريدة بن الحصيب الأسلمي، وأبو رزين العقيلي، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وأبو أمامة الباهلي وزيد بن ثابت وعمار بن ياسر، وعائشة أم المؤمنين وعبد الله بن عمر، وعمارة بن رويبة، وسلمان الفارسي، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن عباس، وأبي بن كعب، وكعب بن عجرة..

ثم ساق ابن القيم هذه الأحاديث وسنقتصر على بعضها.

ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن ناساً قالوا: يارسول الله هل نرى ربّنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: هل تضارون(٣) في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا: لايارسول الله. قال:

---

(١) البقرة: ٩٥ (٢) الزخرف: ٧٧ (٣) أي لاتصابون بأذى

هل تضـارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب، قالوا: لا. قال. فإنكم ترونه كذلك، يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله تعالى في صورة غير صورته التي يعرفون فيقول: أنا ربكم فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه. فيأتيهم الله عز وجـل في صورته التي يعرفون، فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيز[1]، ولايتكلم يومئذ الا الرسل ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم. . الحديث».

وفيهما من حديث أبي سعيد الخدري أن ناساً في زمن رسول الله ﷺ قالوا: يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «نعم هل تضـارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحاب؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيها سحاب؟ قالوا: لايا رسول الله. قال: ماتضارون في رؤيته تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما. .» الحديث

وفيهما من حديث جرير بن عبد الله قال: كنا جلوساً مع

---

(١) أجاز الموضع: سلكه

النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال: إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا، لاتضامون[1] في رؤيته فإذا استطعتم أن لاتغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فافعلوا. ثم قرأ قوله تعالى (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الغُروبِ)[2].

قال ابن القيم: «وقد شهد جرير على رسول ﷺ أنه قال.وشهد قيس بن أبي حازم على جرير، وشهد إسماعيل بن أبي خالد على قيس، وشهد على إسماعيل هذا خلق عدّ منهم ابن القيم يحيى بن سعيد القطان، وهشيم بن بشير، وسفيان بن عيينة، ووكيع بن الجراح، وشعبة بن الحجاج، وعبد الله بن المبارك، ومعمر بن سليمان، والحسن بن دينار، وأبو حنيفة النعمان بن ثابت، وإبراهيم بن طهمان، وأبو شهاب بن الخياط، ومقاتل بن سليمان، وأبو جعفر الرازي، وزفر بن الهذيل وغيرهم.

وتابع إسماعيل بن أبي خالد عن قيس جماعة منهم: بيان بن بشر، ومجالد بن سعيد وطارق بن عبد الرحمن، وجرير بن يزيد بن جرير البجلي، وعيسى بن المسيب، كلهم عن قيس بن أبي حازم عن جرير.

قال ابن القيم رحمه الله: «فكأنك تسمع رسول الله ﷺ وهو يقول، ويبلغه لأمته، ولا شيء أقر لأعينهم منه، وشهدت

---

(١) تضارون (٢) ق: ٣٩

الجهمية والفرعونية والرافضة والقرامطة والباطنية وفروخ الصابئة والمجوس واليونان، بكفر من اعتقد ذلك وأنه من أهل التشبيه والتجسيم وتابعهم على ذلك كل عدو للسنة وأهلها. والله تعالى ناصر كتابه وسنة رسوله ولو كره الكافرون.»

. ثم ذكر حديث صهيب الذي رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ولفظه: قال رسول الله ﷺ:

«إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله عز وجل تريدون شيئاً أزيدكم؟ يقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر الى ربهم ثم تلا هذه الآية: (لِلّذينَ أَحْسَنوا الحُسْنى وزِيادَةٌ)(١).

ثم قال ابن القيم رحمه الله: وهذا حديث رواه الأئمة عن حماد وتلقوه عن نبيهم بالقبول والتصديق.

روى الشيخان في صحيحيهما عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال:

«جنتان من فضة آنيتهما ومافيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما ومافيهما، ومابين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم تبارك وتعالى إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن».

وفي مسند الإمام أحمد(٢) عنه قال قال رسول الله ﷺ:

---

(١) يونس: ٢٦ (٢) قلت وفيه علي بن زيد بن جدعان روى له مسلم وفيه مقال

يجمــع الله الأمم في صعيد واحــد يوم القيامــة فإذا بدا لله أن يصدع [1] بين خلقه مثّل لكل قوم ماكانوا يعبدون فيتبعونهم حتى يُقحمـونهم النار. ثم يأتينا ربنا عز وجل ونحن على مكان رفيع فيقول: من أنتم؟ فنقول: نحن المسلمون، فيقول: ماتنتظرون فيقولون: ننتظر ربنا عز وجل. فيقول: وهل تعرفونه إن رأيتموه؟ فيقولون: نعم فيقـول كيف تعـرفونه ولم تروه؟ فيقولون نعم إنه لاعِدل[2] له، فيتجلى لنا ضاحكا فيقول: «أبشروا أيها المسلمون فإنه ليس منكم أحد إلا جعلت مكانه في النار يهودياً أو نصرانياً.»

وروى البخاري في صحيحه عن عدي بن حاتم قال:

«بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتى إليه رجل فشكا إليه الفاقة، ثم أتى إليه آخر فشكا إليه قطع السبيل، فقال: ياعدي هل رأيت الحيرة؟ قلت: لم أرها، وقد أنبئت عنها. قال: فإن طالت بك حياة لترين الـظعينة [3] ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لاتخاف أحـداً إلا الله. قلت فيما بيني وبـين نفسي: فأين دعار طيء [4] الذين سعروا [5] البلاد. ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: كسرى بن هرمز. ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يُخرج ملء كفه من ذهب أو فضة، يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه، وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه

---

(١) يفصل بينهم (٢) أي لا نظير له. (٣) الظعينة: المرأة في هودجها

(٤) اي قطاع الطريق منهم الأشرار (٥) ملؤوها شراً

وليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له، فيقول: ألم أبعث إليك رسولاً فيبلغك؟ فيقول: بلى يارب فيقول: ألم أعطك مالاً وأفضل عليك؟ فيقول: بلى. فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم.

قال عدي: «فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لاتخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ولئن طالت بكم حياة لترون ماقال النبي ﷺ.»

وفي الصحيحين عن مالك بن أنس قال قال رسول الله ﷺ:

«يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك، فيقولون: استشفعوا لنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا. فيأتون آدم فيقولون: أنت أبو الخلق خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا عند ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا. فيقول: لست هناكم. فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربَّه منها. ولكن ائتوا نوحاً أول رسول بعثه الله عز وجل. قال: فيأتون نوحاً فيقول: لست هناكم، فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها. ولكن ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلاً. فيأتون إبراهيم فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها. ولكن ائتوا موسى الذي كلمه الله تكليما وأعطاه التوراة فيأتون موسى فيقول: لست هناكم، ويذكر

خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها. ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته فيقول: لست هناكم ولكن ائتوا محمداً ﷺ عبداً غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر. قال: قال رسول الله ﷺ فيأتوني فأستأذن على ربي فيؤذن لي، فإذا أنا رأيته فأقع ساجداً، فيدعني ماشاء الله أن يدعني، فيقال: يامحمد ارفع رأسك وقل تسمع، وسل تعط، واشفع تشفع. فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي، فأشفع فيحدّ لي حداً فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة. ثم أعود فأقع ساجداً فيدعني ماشاء الله أن يدعني، ثم يقال: ارفع رأسك يامحمد، قل تسمع، وسل تعط، واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي، ثم أشفع فيحد لي حداً فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة. قال: فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة قال: فأقول يارب مابقي في النار إلا من حبسه القرآن. أي وجب عليه الخلود.»

وذكره ابن خزيمة من طريق أخرى عنه قال: «يلقى الناس يوم القيامة ماشاء الله أن يلقوه من الحبس فيقولون: انطلقوا بنا الى آدم فيشفع لنا إلى ربنا. فذكر الحديث إلى أن قال: فينطلقون إلى محمد ﷺ فأقول: أنا لها، فأنطلق حتى أستفتح باب الجنة فيفتح لي، فأدخل وربي على عرشه، فأخر ساجداً.» وذكر الحديث.

وقال أبو عوانة وابن أبي عروبة وهمام وغيرهم عن أنس في هذا الحديث: «فأستأذن على ربي فإذا رأيته وقعت ساجداً.»

وساقه ابن خزيمة بسياق طويل وقال فيه: «فأستفتح فإذا نظرت إلى الرحمن وقعت له ساجداً».

قال ابن القيم رحمه الله:

ورؤية النبي ﷺ لربه في هذا المقام ثابتة عنه ثبوتاً يقطع به أهل العلم بالحديث والسنة. وفي حديث أبي هريرة[1]: أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر، وأنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا صاحب لواء الحمد ولا فخر، وأنا أول من يدخل الجنة ولا فخر، آخذ بحلقة باب الجنة فيؤذن لي فيستقبلني وجه الجبار جل جلاله فأخر له ساجداً.

وروى ابن خزيمة من حديث بريدة بن الحصيب قال قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيخلو الله به يوم القيامة ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان.»

وروى أحمد في مسنده ومسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله وقد سئل عن الورود فقال: نحن يوم القيامة على كذا وكذا أي فوق الناس، فتدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد، الأول فالأول. ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول: ومن تنتظرون؟ فيقولون: ننتظر ربنا فيقول: أنا ربكم. فيقولون: حتى ننظر إليك، فيتجلى لهم تبارك وتعالى يضحك، قال: فينطلق بهم ويتبعونه ويعطى كل إنسان منهم منافق أو مؤمن نوراً. ثم يتبعونه على جسر جهنم وعليه

---

(١) بعض جمله في صحيح مسلم وهو بتمامه في سنن الدارمي

كلاليب وحسك، تأخذ من شاء، ثم يطفأ نور المنافق ثم ينجو المؤمنون، فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر وسبعون ألفاً لايحاسبون، ثم الذين يلونهم كأضوأ نجم في السماء، ثم كذلك، ثم تحل الشفاعة حتى يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير مايزن شعيرة، فيجعلون بفناء(١) الجنة، ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء حتى ينبتون نبات الشيء في السيل، ويذهب حراقه(٢)، ثم يسأل حتى يجعل الله له الدنيا وعشرة أمثالها معها.

وهذا الذي وقع في الحديث من قوله على كذا وكذا قد جاء مفسراً في رواية صحيحة ذكرها عبد الحق في الجمع بين الصحيحين: نحن يوم القيامة على تل مشرفين على الخلائق.

وروى عبد الرزاق عن جابر قال قال رسول الله ﷺ «يتجلى لهم االرب تبارك وتعالى ينظرون إلى وجهه فيخرّون له سجداً فيقول ارفعوا رؤوسكم فليس هذا بيوم عبادة.»

وروى الدارقطني عنه قال قال رسول الله ﷺ: «يتجلى لنا ربنا عز وجل يوم القيامة ضاحكا.»

وروى الإمام أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه والحاكم عن أبي مجلز قال: صلى بنا عمار صلاة فأوجز فيها فأنكروا ذلك فقال: ألم أتم الركوع والسجود؟ قالوا بلى. قال أما إني قد

---

(١) الفناء: الساحة أمام البيت (٢) أثر الحرق

دعوت فيها بدعاء كان رسول الله ﷺ يدعو به:

«اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني ماعلمت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لي، وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وكلمة الحق في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى، ولذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، في غير ضرّاء مضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين»(١).

وروى الترمذي بإسناد صحيح - كما قال ابن القيم - عن جابر قال: لما قتل عبد الله بن عمرو بن حزام يوم أحد قال رسول الله ﷺ: ياجابر ألا أخبرك ماقال الله عز وجل لأبيك؟ قال: بلى قال: ماكلم الله عز وجل أحداً إلا من وراء حجاب وكلم أباك كفاحاً(٢). فقال: ياعبدي تمنّ عليّ أعطك، قال: يارب تحييني فأقتل فيك ثانية. قال: إنه قد سبق مني أنهم إليها لايرجعون. قال: يارب فأبلغ من ورائي، فأنزل الله عز وجل: هذه الآية (ولاتَحْسَبَنَّ الذينَ قُتِلوا في سَبيلِ اللَّهِ أَمْواتاً) (٣) الآية.

وروى الترمذي والطبراني عن ابن عمر مرفوعاً:

«إن أدنى أهل الجنة منزلة لرجل ينظر في ملكه ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه، ينظر إلى أزواجه وسرره وخدمه، وإن

---

(١) وقد صححه شيخنا الالباني في تخريج الكلم الطيب

(٢) أي مواجهة ليس بينهما حجاب ورسول (٣) آل عمران: ١٦٩

أفضلهم منزلة من ينظر إلى وجه الله تبارك وتعالى كل يوم مرتين» .

ورواه الحسن بن عرفة وزاد فيه ثم قرأ رسول الله ﷺ : (وجوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إلى رَبِّها ناظِرَةٌ)[1] .

وروى ابن خزيمة من حديث حماد بن سلمة عن ابن جدعان[2] عن أبي نضرة قال :

خطبنا ابن عباس فقال : قال رسول الله ﷺ : «ما من نبي إلا وله دعوة تعجلها في الدنيا ، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فآتي باب الجنة فآخذ بحلقة الباب فأقرع الباب فيقال : من أنت؟ فأقول : أنا محمد فآتي ربي وهو على كرسيه أو على سريره فيتجلى لي ربي فأخر له ساجداً . »

ثم ساق ابن القيم ماقاله بعض أصحاب رسول الله ﷺ .

فنقل عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قوله وقد سئل عن الزيادة في قوله تعالى (لِلَّذينَ أَحْسَنوا الحُسْنى وَزِيادَةٌ) فقال : النظر الى وجه الله تبارك وتعالى .

وقول علي : «من تمام النعمة دخول الجنة والنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى في جنته» (رواه ابن أبي حاتم)

وقول حذيفة بن اليمان : «الزيادة : النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى» .

وقول ابن مسعود : «والله ما منكم من إنسان إلا أن ربه

---

(١) القيامة : ٢٢ (٢) وفيه مقال

سيخلو به يوم القيامة كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر فيقول: ماغــرك بي ياابن آدم؟ ماذا أجبت المـرسلين؟ كيف عملت فيما علمت؟» (رواه أبو عوانة).

وقول معاذ بن جبل: «يحشر الناس يوم القيامة في صعيد واحـد فينـادى أين المتقـون فيقـومون في كنف واحد من الرحمن لايحتجب الله منهم ولا يستتر» (رواه ابن أبي حاتم).

وقول أبي هريرة: «لن تروا ربكم حتى تذوقوا الموت».

وقـول ابن عمر: «إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر إلى ملكه ألفي عام يرى أدناه كما يرى أقصاه وإن أفضلهم منزلة لمن ينظر إلى وجه الله في كل يوم مرتين» (رواه الترمذي).

وقـول فضـالـة بن عبيد: «اللهم إني أسـألك الرضا بعد القضاء وبرد العين بعد الموت ولذة النظر الى وجهك» (رواه الدرامي)

وقول أبي موسى الأشعري: «كيف بكم إذا رأيتم وجه الله جهراً؟».

وقول ابن عباس: «كل من دخل الجنة يرى الله عز وجل» (رواه ابن أبي داود)

وقول أنس في قوله تعالى (وَلَدَيْنا مَزيدٌ): «يظهر لهم الرب تبارك وتعالى يوم القيامة» (رواه ابن أبي شيبة).

وقـول جابـر: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأديم عليهم

بالكرامة جاءتهم خيول، من ياقوت أحمر، لاتبول ولا تروث لها أجنحة، فيقعدون عليها ثم يأتون الجبار، فإذا تجلى لهم خروا سجداً فيقول: ياأهل الجنة ارفعوا رؤوسكم فقد رضيت عنكم رضا لا سخط بعده.

ثم نقل قول الطبري أنه قد روى حديث الرؤية عن النبي ﷺ ثلاث وعشرون نفساً.

ونقل عن يحيى بن معين قوله: «عندي سبعة عشر حديثاً في الرؤية كلها صحاح.»

وقول البيهقي: «روينا في إثبات الرؤية عن أبي بكر الصديق وحذيفة بن اليمان وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وأبي موسى وغيرهم ولم يرد عن أحد منهم نفيها ولو كانوا فيها مختلفين لنقل اختلافهم في ذلك إلينا.»

ثم نقل ابن القيم أقوال بعض التابعين والأئمة في إثبات الرؤية كسعيد بن المسيب، والحسن البصري، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وعامر بن سعد البجلي، وعبد الرحمن بن سابط، وعكرمة ومجاهد وقتادة والسدي والضحاك وكعب، وعمر بن عبد العزيز، والأعمش، وهشام بن حسان وطاووس وأبي اسحق السبيعي وزهير بن معاوية وشريك بن عبد الله النخعي وغيرهم.

ثم نقل قول الإمام مالك: «الناس ينظرون الى ربهم عز وجل يوم القيامة بأعينهم.»

ونقل أقوال ابن الماجشون والأوزاعي والليث بن سعد وسفيان بن عيينة، وجرير بن عبد الحميد، وعبد الله بن المبارك، ووكيع بن الجراح، وقتيبة بن سعيد، وأبي عبيد القاسم بن سلام، وأسود بن سالم شيخ الإمام أحمد، والإمام محمد بن ادريس الشافعي والإمام أحمد بن حنبل واسحق بن راهويه والمزني وأهل اللغة.

فقد قال ثعلب في قوله تعالى: (وكانَ بالمؤْمنينَ رَحيماً تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ[1]) «أجمع أهل اللغة على أن اللقاء ههنا لا يكون إلا معاينة ونظراً بالأبصار».

قال ابن القيم: واللقاء ثابت بنص القرآن كما تقدم وبالتواتر عن النبي ﷺ، وكل أحاديث اللقاء صحيحة كحديث أنس في قصة بئر معونة «إنا قد لقينا ربّنا فَرضي عنا وأرضانا[2]».

وحديث عبادة عن عائشة وأبي هريرة وابن مسعود: «من أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه[3]» وحديث أنس: «إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله[4]» وحديث أبي ذر القدسي: «لو لقيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لقيتك بقرابها مغفرة[5]» وحديث أبي موسى: «من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة[6].» وغير ذلك من أحاديث

---

(١) الاحزاب: ٤٤ (٢) رواه البخاري في كتاب الجهاد

(٣) متفق عليه (٤) متفق عليه (٥) رواه مسلم (٦) رواه البخاري

اللقاء التي اطردت كلها بلفظ واحد.

قال ابن القيم رحمه الله:

قال ابن المبارك في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ[1]﴾.

قال: «ما حجب الله عنه أحداً إلا عذبه» ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمَ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ[2]﴾ قال: بالرؤية

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة قال:

«قالوا: يارسول هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست فيها سحابة؟ قالوا: لا. قال: هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس فيه سحابة؟ قالوا: لا قال: فوالذي نفس محمد بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما. فيلقى العبد فيقول: أي فُلُ[3] ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وترفع؟ فيقول: بلى. فيقول: أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا. فيقول: أنساك كما نسيتني. ثم يلقى الثاني فيقون: أي فل: ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وترفع؟ فيقول: بلى أي ربي، فيقول: أظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا. فيقول: إني أنساك كما نسيتني. ثم يلقى الثالث

---

(١) المطففين: ١٥ (٢) المطففين: ١٦، ١٧ (٣) أي فلان وهو مرخم

فيقـول مثـل ذلـك، فيقول: يارب آمنت بك وبكتبك ورسلك وصليت وصمت وتصدقت. ويثني بخير ما استطاع. فيقول: ههنا إذاً ثم يقال: الآن نبعث شاهداً عليك، فيتفكر في نفسه من الذي يشهد علي، فيختم على فيه، ويقال لفخذه انطقي فينطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله، وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المنافق وذلك الذي يسخط الله عليه.»

قال ابن القيم:

فاجمع بين قوله: فإنكم سترون ربكم وقوله لمن ظن أنه غير ملاقيه: فإني أنساك كما نسيتني، وإجماع أهل اللغة على أن اللقاء المعاينة بالأبصار، يحصل لك العلم، بأن منكر الرؤية أحق بهذا الوعيد. ومن تراجم أهل السنة على هذا الحديث: باب في الوعيد لمنكري الرؤية «كما فعل شيخ الاسلام وغيره.

ثم قال ابن القيم رحمه الله:

«قـد دل القـرآن والسنـة المتـواترة وإجماع الصحابة وأئمة الإسـلام وأهل الحديث عصابة الإسلام ونزل[1] الإيمان وخاصة رسـول الله ﷺ على أن الله سبحـانـه وتعـالى يُرى يوم القيامـة بالأبصـار عيانـاً، كما يُرى القمـر ليلة البـدر صحواً، وكما ترى الشمس في الظهيرة. فإن كان لما أخبر الله ورسوله عنه من ذلك حقيقـة، وإن له والله حق الحقيقة ـ فلا يمكن أن يروه إلا من

(١) أي منزله

فوقهم، لاستحالة أن يروه من أسفل منهم أو خلفهم أو أمامهم أو عن يمينهم أو عن شمالهم. وإن لم يكن لما أخبر به حقيقة كما يقوله أفـراخ الصـابئـة والفـلاسفة والمجوس والفرعونية، بطل الشرع والقـرآن فإن الـذي جاء بهذه الأحـاديث هو الذي جاء بالقرآن والشريعة، والذي بلغها هو الذي بلّغ الدين، فلا يجوز أن يجعل كلام الله ورسـولـه عضـين بحيث يؤمن ببعض معـانيه ويكفـر ببعضهـا، فلا يجتمـع في قلب العبـد بعـد الاطـلاع على هذه الاحاديث وفهم معناها إنكارها والشهادة بأن محمداً رسول الله أبداً.

قال: والمنحـرفون في باب رؤية الرب تبارك وتعالى نوعان أحدهما من يزعم أنه يرى في الدنيا ويحاضر ويسامر، والثاني من يزعم أنه لايرى في الآخرة البتة ولا يكلم عباده. وما أخبر الله به رسوله وأجمع عليه الصحابه والأئمة يكذب الفريقين وبالله التوفيق.

تكليم الله تعالى لأهل الجنة

قال تعالى:

(إِنَّ الـذينَ يَشْـتَرونَ بعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمانِهِمْ ثَمَناً قَليلاً أُولئكَ لاخَلاقَ لَهُمْ في الآخِرَةِ ولا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ ولا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ القِيامَةِ ولا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذابٌ أَليمٌ[١])

وقال سبحانه:

«إِنَّ الذينَ يَكْتُمونَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الكِتاب وَيَشْتَرونَ بهِ ثَمَناً قَليلاً أُولئكَ ما يأكُلونَ في بُطونِهِمْ إلا النّارَ ولا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ القِيامَةِ ولا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عذَابٌ أَليمٌ[٢]».

فلو كان لا يكلم عباده المؤمنين لكانوا في ذلك هم وأعداؤه سواء، ولم يكن في تخصيص أعدائه بأنه لا يكلمهم فائدة أصلاً.

قال ابن القيم رحمه الله:

وقد أخبر الله سبحانه أنه يسلم على أهل الجنة وان ذلك السلام حقيقة وهو قول من رب رحيم، وتقدم تفسير النبي ﷺ لهذه الآية في حديث جابر في الرؤية[٣] وأنه يشرف عليهم من فوقهم

(١) آل عمران: ٧٧ (٢) البقرة: ١٧٤ (٣) راجع باب رؤية الله في الجنة

ويقول: سلام عليكم يا أهل الجنة فيرونه عياناً. وفي هذا إثبات الرؤية والتكلم والعلو، والمعطلة تنكر هذه الأمور الثلاثة وتكفر القائل بها.

وتقدم حديث أبي هريرة وقول النبي ﷺ: «ولا يبقى أحد في ذلك المجلس إلا حاضره الله محاضرة فيقول: يا فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا الحديث.

وتقدم حديث عدي بن حاتم (ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان)[1].

وحديث أبي هريرة في الرؤية وفيه: «يقول الرب تبارك وتعالى للعبد «ألم أكرمك وأسودك[2]» الحديث.

قال: وبالجملة فتأمل أحاديث الرؤية تجد في أكثرها ذكر التكليم[3]. قال البخاري في صحيحه (باب كلام الرب تبارك وتعالى مع أهل الجنة) وساق فيه عدة أحاديث. فأفضل نعيم أهل الجنة رؤية وجهه تبارك وتعالى وتكليمه لهم. فإنكار ذلك إنكار لروح الجنة وأعلى نعيمها وأفضله الذي ما طابت لأهلها إلا به والله المستعان

(١) رواه الشيخان (٢) رواه مسلم (٣) وفي باب زرع الجنة تكليم الله لصاحب الزرع

أبدية الجنة وعدم فنائها

قال تعالى:

«وأَمّـا الـذينَ سَعِـدوا فَفي الجَنّـةِ خالِدينَ فيها ما دامَتِ السَّماواتُ والأَرْضُ إلّا ما شاءَ رَبُّكَ عَطاءً غَيْرَ مَجْذوذٍ[1] .»

قال ابن القيم رحمه الله:

أخبر سبحانه عن خلودهم في الجنة كل وقت إلا وقتاً يشاء أن لا يكونوا فيها، وذلك يتناول وقت كونهم في الدنيا وفي البرزخ وفي موقف القيامة وعلى الصراط وكون بعضهم في النار مدة.

وقال تعالى:

«إِنَّ هذا لَرِزْقُنا مالَهُ مِنْ نَفادٍ[2] .

وقال سبحانه:

«أُكُلُها دائِمٌ وظِلُّها[3] .

وقال تعالى: «وَما هُمْ منها بِمُخْرَجينَ[4]

وقال تعالى: «لا يَذوقونَ فيها المَوْتَ إلا المَوْتَةَ الأُولى[5] .»

قال ابن القيم: وهـذا الاستثناء منقطع وإذا ضممته إلى

---

(١) هود: ١٠٨ (٢) ص: ٥٤ (٣) الرعد: ٣٥ (٤) الحجر: ٤٨ (٥) الدخان: ٥٦

الاستثناء في قوله (إلا ما شاءَ رَبُّكَ) تبين لك المراد من الآيتين واستثناء الوقت الذي لم يكونوا فيه في الجنة من مدة الخلود، كاستثناء الموتة الأولى من جملة الموت. فهذه موتة تقدمت على حياتهم الأبدية، وذاك مفارقة للجنة تقدم على خلودهم فيها.

قلت: وقد تقدم قول النبي ﷺ:

من يدخل الجنة ينعم فيها ولا يبأس، ويخلد ولا يموت[1].

وقوله: ينادي مناد يا أهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وأن تشبوا فلا تهرموا أبداً وأن تحيوا فلا تموتوا أبداً[2].

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال:

«يجاء بالموت كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار، ثم يقال: يا أهل الجنة. فيطلعون مشفقين. ويقال: يا أهل النار فيطلعون فرحين. فيقال: هل تعرفون هذا فيقولون: نعم هو الموت. فيذبح بين الجنة والنار. ثم يقال: ياأهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت».

وفيهما من حديث ابن عمر مرفوعاً: «يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول: يا أهل الجنة لا موت[3] ويا أهل النار لا موت كل خالد فيما هو فيه.»

---

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة (٢) رواه مسلم

(٣) كان يزيد الرقاشي: يقول: أمن أهل الجنة من الموت فطاب لهم العيش وأمنوا من الأسقام فهناهم في جوار الله طول المقام. ثم يبكي حتى تجري دموعه على لحيته.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية :

القول بفناء الجنة والنار قول مبتدع لم يقله أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أحد من أئمة المسلمين. والذين قالوه إنما تلقوه عن قياس فاسد كما اشتبه أصله على كثير من الناس، فاعتقدوه حقاً، وبنـوا عليه القول بخلق القرآن ونفي الصفات. وقد دل القرآن والسنة والعقل الصريح على أن كلمات الله وأفعاله لا تتناهى ولا تنقطع بآخر ولا تحد بأول. قال تعالى: (قُلْ لَوْ كانَ البَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبّي لنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِماتُ رَبّي وَلَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً[1])

---

(١) الكهف: ١٠٩

الخلود فيها والاستقرار

قال تعالى:

(«والذينَ آمَنوا وعَمِلوا الصَّالِحاتِ لا نُكَلِّفُ نَفْساً إلا وُسْعَها أُولئِكَ أَصْحابُ الجَنَّةِ هُمْ فيها خالِدونَ»[1].

وقال سبحانه:

«لِلَّذينَ أَحْسَنوا الحُسْنى وَزِيادَةٌ وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ أُولئِكَ أَصْحابُ الجَنَّةِ هُمْ فيها خالِدونَ[2]»،

وقال عز وجل:

«إِنَّ الذينَ آمَنوا وعَمِلوا الصَّالِحاتِ وأَخْبَتوا إِلى رَبِّهِمْ أُولئكَ أَصْحابُ الجَنَّةِ هُمْ فيها خالِدونَ[3]»

وقال جل شأنه:

«إِنَّ الذينَ سَبَقَتْ لَهُمْ منّا الحُسْنى أُولئكَ عَنْها مُبعَدونَ * لا يَسْمَعونَ حَسيسَها وَهُمْ في ما اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خالدونَ[4]».

---

(١) الأعراف: ٤٢ (٢) يونس: ٢٦ (٣) هود: ٢٣ (٤) الأنبياء: ١٠١، ١٠٢

وقال سبحانه عن عباد الرحمن:

«أُولئكَ يُجْزَوْنَ الغُرْفَةَ بِما صَبَروا وَيُلَقَّوْنَ فيها تَحِيَّةً وَسَلاماً * خالِدينَ فيها حَسُنَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقاماً[1]»

(١) الفرقان: ٧٥ - ٧٦

كلام الجنة

في الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:
«احتجت النار والجنة فقالت هذه: يدخلني الجبارون والمتكبرون. وقالت هذه يدخلني الضعفاء والمساكين. فقال الله عز وجل لهذه: أنت عذابي أعذب بك من أشاء، وقال لهذه: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء، ولكل واحدة منكما ملؤها.»
وفي رواية أخرى:
«تحاجّت النار والجنة فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين. وقالت الجنة: مالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم[1] وعَجَزهم.[2] فقال الله سبحانه للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي. وقال للنار: أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي. ولكل واحدة منكما ملؤها. فأما النار فلا تمتلىء حتى يضع قدمه عليها فتقول قط[3] قط فهنالك تمتلىء

---

(١) أدوائهم (٢) جمع عاجز (٣) أي حسبي

وينزوي بعضها على بعض، ولا يظلم الله من خلقه أحداً، وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشيء لها خلقاً.

وعن عبد الله بن أبي بشير رفعه:

«ما من يوم إلا والجنة والنار يسألان. تقول الجنة يارب قد طابت ثماري واطـردت أنهاري واشتقت إلى أوليائي، فعجل إلي بأهلي. وتقول النار اشتد حري وبعد قعري وعظم جمري فعجل علي بأهـلي. (رواه الليث بن سعـد عن معـاوية بن صالح عنه وإسناده حسن)

وقال قتادة:

«لما خلق الله الجنة قال لها تكلمي فقالت: طوبى للمتقين»

لا تكليف في الجنة

روى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال:

«يأكل أهل الجنة فيها ويشربون ولا يتمخطون ولا يتغوطون ولا يبولون، ويكون طعامهم ذلك جشاء[1] ورشحاً كرشح المسك، يلهمون التسبيح والحمد كما يلهمون النفس.

وفي رواية: التسبيح والتكبير كما تلهمون أي تسبيحهم وتحميدهم يجري مع الأنفاس كما تلهمون أنتم النفس.

وهذا يدل على ارتفاع العبادات والتكاليف إلا عبادة الذكر فإنها دائمة.

---

(١) صوت يخرج من الفم حين الشبع ومعه ريح

خاتمة دعوى أهل الجنة

قال تعالى:

(«إِنَّ الذينَ آمَنوا وعَمِلوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمانِهِمْ تَجْري مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهارُ في جَنّاتِ النَّعيمِ * دَعْواهُمْ فيها سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ وتَحِيَّتُهُمْ فيها سَلامٌ وآخِرُ دَعْواهُمْ أَنِ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العالَمينَ[1]»)

قال قتادة:

«دعواهم فيها سبحانك اللهم. ذلك دعاؤهم فيها، وتحيتهم فيها سلام.»

ومعنى سبحانك هو تنزيه الرب تعالى وتعظيمه وإجلاله عما لا يليق به. وقال علي رضي الله عنه: «هي كلمة رضيها الله تعالى لنفسه»

قال ابن القيم رحمه الله:

الدعوى مثل الدعاء، والدعاء يراد به الثناء ويراد به

---

(١) يونس: ٩، ١٠

المسـألة. وفي الحديث: أفضل الدعاء الحمد لله رب العالمين. فهذا دعاء ثناء وذكر يلهمه الله أهل الجنة. فأخبر الله سبحانه عن أولـه وآخـره، فأولـه تسبيح، وآخره حمد يلهمونهما، كما يلهمون النفس. وفي هذا إشارة إلى أن التكليف في الجنة يسقط عنهم، ولا تبقى عبادتهم الا هذه الدعوة التي يلهمونها

وفي لفظة (اللهم) إشارة الى صريح الدعاء فإنها متضمنة لمعنى ياالله فهي متضمنة للسؤال والثناء.

الاعداد لها والمسارعة إليها

روى الشيخان في صحيحيهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه :

«أن أعـرابياً قال لرسـول الله ﷺ , متى الساعة؟ قال له رسول الله ﷺ «ما أعددت لها؟» قال : حُبَّ اللهِ ورَسولهِ . قال : «أنت مع من أَحببت» .

قال الله تعالى :

«وَسـارِعـوا إلى مَغْفِـرَةٍ مِنْ ربِّكُمْ وجَنَّةٍ عَرْضُها السَّماواتُ والأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلمُتّقينَ»[1] .

وقال سبحانه :

«سابقوا إلى مَغْفِرةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُها كَعَرْضِ السَّماءِ والأَرض أُعِدَّتْ لِلَّذينَ آمَنوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذلكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتيهِ مَنْ يَشاءُ وَاللَّهُ ذو الفَضْلِ العَظيمِ»[2] .

---

(١) آل عمران : ١٣٣ (٢) الحديد : ٢١

كلمة الختام

أيها المؤمن

مر بك في فصـول هذا الكتـاب ما ورد في وصف الجنـة ونعيمها، فلم يبق عليك بعد هذا البيان إلا أن تعمل للوصول إلى هذا النعيم المقيم، وأن تطلب من الله جنته، وتتلهف الى هذه الجنة كما كان الصحابة رضوان الله عليهم. فقد سأل أحدهم وهو عمير بن الحمام في غزوة أحد رسول الله ﷺ عن أجره إن قاتل في سبيل الله فقتل؟ فلما بين له النبي ﷺ أن ثوابه الجنة رمى بتمرات كن في يده وانقض يقاتل في سبيل الله حتى أصيب فلما أصيب قال: فزت ورب الكعبة.

والمسلم دائماً بين الخوف والرجاء فهو يخشى عقوبة الله وناره ويرجو رحمته وجنته، وهذا هو شأن الرسل صلوات الله عليهم فهم كانوا يدعون ربهم رغباً ورهباً. أما من زعم أنه يعبد الله لا خوفاً من ناره ولا طلباً لجنته فهو مبتدع ضال.

وانـظر الى حال الصحـابـة تجدهم على ما وصف الله به الرسل فقد صلى أبو الدرداء رضي الله عنه العشاء يوماً وكان يقرأ

فيها سورة (المؤمنون) فلما وصل الى قوله تعالى (تَلْفَحُ وُجوهَهُمُ النّارُ وهمْ فيها كالِحونَ[1]) أُخذ من الروعة فجعل يرددها حتى أوذن بالفجر.

وهكذا كان التابعون ومن بعدهم فعن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال: قلت ليزيد بن مرثد: مالي أرى عينيك لا ترقأ؟ فقال: وما مسألتك عنه؟ فقلت له عسى الله أن ينفعني به. فقال: يا أخي إن الله عز وجل توعدني إن أنا عصيته أن يسجنني في النار، والله لو لم يتوعدني إلا أن يسجنني في حمام لكنت حرياً ألا تجف لي عين.

فليحاسب كل منا نفسه، وليسع ليكون من أهل الجنة، فيأتمر بما أمره الله ورسوله، وينتهي عما نهاه عنه الله ورسوله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) المؤمنون: ١٠٤

الجنة(*)

جَنَّــةُ الــفِــرْدوسِ دارُ المــتّقــينْ
في مَقــامٍ عنـد ذي العَـرْشِ أَمـينْ
مَقْــعَــدُ صِدْقٌ حَياةٌ حَقَّــةٌ
في جوارِ الــلَّهِ عَيْشُ الخــالِــدينْ
جَنَّــةٌ فوْقَ الــســماواتِ الــعُــلى
عَرْضُهــا سَبْــعُ السَّــما والأَرَضــينْ
كلُّ ما فيهــا جَديدٌ دائِــمٌ
نِعَــمٌ فَتّــانَــةٌ للنّــاظِــرينْ
مِنْ قِبــابٍ كُلُّهــا مِنْ لؤْلــؤٍ
وَتــرابٍ كلُّه مِسْــكٌ رَصــينْ
تَحتَــهــا الأَنهارُ يَجْري ماؤُهــا
ليسَ بالآسِــنِ مِنْ كَرِّ الــسِّــنــينْ
لَبَــنٌ لم يَتَــغَــيَّرْ طَعْــمُــهُ
خَمْرَةٌ بَلْ لَذَّةٌ للشّــارِبــينْ

(*) من ديوان الحق المبين للمؤلف طبعة عام ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م

هذهِ لاغَولَ فيها شرْبُها
تَركوا التَّأْثيمَ لَغْوَ الآثِمينْ

عَسَلٌ فيها مُصَفّى أَنْهُرٌ
ومِنَ التَّسْنيمِ ماءٌ مِنْ مَعينْ

وَكؤوسٌ أُتْرِعَتْ بَلْ مُزِجَتْ
زَنْجَبيلاً هُيِّئَتْ لِلْمُشْتَهينْ

وَأَباريقُ وَغِلْمانٌ لَها
تَحمِلُ الأَكْوابَ تَسْقي الطّالِبينْ

تَحْسَبُ الغِلْمانَ فيها لُؤْلُؤاً
جَلّ باريهِمْ إِلهُ العالَمينْ

وَثيابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ واسْتَبْرَقٌ
.. والفَرْشُ فيهِ كُلُّ لِينْ

وَخِيامٌ مِنْ يَواقيتَ وفي
جَوْفِها حورٌ مِنَ الأَبْكارِ عينْ

لو أَطَلَّتْ للدُّنا واحدةٌ
لأَضاءَتْ كُلَّ أَرْضِ الشّاهِدينْ

لَفْتَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيا وما
تَحْتَويهِ مِنْ نَفيسٍ أو ثَمينْ

ريحُهـا تَمْلأُ مابَيْنَهُما
كُلُّهـا حُبٌّ وشَـوْقٌ وَحَنـينْ
سُرُرٌ مَرْفـوعَـةٌ مَصْـفـوفَـةٌ
وَأَريكٌ هُيِّئَـتْ للقـائِـلين
تُكْـأةٌ لِلْقَـوْمِ بَلْ مُرْتَـفَـقٌ
حَسُـنَـتْ مُرْتَـفَقـاً للسّـامِـرينْ
شَجَـرٌ قدْ ذُلِّـلَتْ أَثْـمارُهـا
وَظِـلالٌ أُدْنِـيَتْ مِنْ حالِمـينْ
وَعَـلى الأَبـوابِ رِضْـوانٌ لَهُ
خَيْرُ تَرْحـيبٍ بِقَـوْمٍ وافِـدينْ
وَرِثـوا الـفِـردَوْسَ فيهـا خَلَدوا
قَدّمـوا خَيْراً فعـاشـوا فاكِـهـينْ
جَنَّـةٌ عالِـيَةٌ سُكّـانُها
إِخْـوَةٌ نِعْـمَ إِخـاءُ المـتَّـقـينْ
نَضْرَةٌ فيهـا حُبـورٌ دائِـمٌ
تِلْكَ حالُ الـفـائِـزينَ المُكْـرَمـينْ
لايَخـافـونَ ولا يَحْزُنُهُمْ
فَزَعٌ صاروا لَدَيْهـا آمِـنـينْ

في قُصــورٍ كُـلُّهــا مِنْ ذَهَــبْ
تَحتَــهــا أَنْهارُهُــا والِمــسْــكُ طينْ

تِلْكَ رَوْضــاتٌ نَدِيٌّ ظِلُّهــا
رَوْحُــهــا رَيْحــانُها في كُلِّ حينْ

وَلَهُــمْ ماتَــشْــتَــهــي أَنْفُسُهُــمْ
ماتَــلَذُّ الــعَــيْنُ طِلْبُ السّــائِلينْ

فَوْقَ هذا نَظْرَةٌ تَبْــهَــجُــهُــمْ
دونَها كُلُّ نَعــيمِ الــنّــاعِــمــينْ

إِذْ يَرَوْنَ الــلّهَ لايَحْــجُــبُــهُــمْ
نُورُهُ عَنْ وَجْــهِــهِ رُؤْيا يَقــينْ

تِلْكَ جَنْــاتٌ وَلَــيْسَــتْ جَنَّــةً
فَأَعِــدَّ الــرَّحْــلَ هَيِّءْ مايُعــينْ

فَمُــهــورِ الحــورِ سَعْــيٌ وَتُــقــىً
وَيَقــينٌ ثُمَّ عَزْمٌ لايَلينْ

أَكْــثِــرِ الــتَّسْــبيحَ واحْمَــدْهُ تَفُــزْ
بِغِــراسٍ في جِنــانِ الــغــارِسينْ

واسْــأَلِ المَــوْلى نَعــيماً دائِــماً
جَنَّــةُ المَــأْوى عَطاءُ الــفــائِــزينْ

الفهرس